الاديب العربي في العالم الحديث

بقلم : يوسف الخال

(١)

فاجأنا العالم الحديث فى اعقاب الحرب الكونية الاولى ، كان قد بدأ يتسرب الينا منذ أواخر القرن الثامن عشر : حملة نابليون على مصر ، قيام محمد على نشاط الارساليات التبشيرية والتربوية فى لبنان وفلسطين على الخصوص ، استمرار الصلات المذهبية بروسيا وفرنسا والفاتيكان • على ان العالم الحديث لم يصبح عالمنا بالفعل الا بزوال السلطنة العثمانية عن ربوعنا •

ولكن ، ان يصبح العالم الحديث عالمنا ، اى ان لا يقوم بيننا وبينه حاجز ، لا يعنى اننا اصبحنا تماما فيه ، اى اننا تبنينا جميع معطياته ومفاهيمه ـ الصالح منها والطالح ـ فى حياتنا • فلو كان الامر كذلك لما كانت القضية المصيرية التى تجابه العرب اليوم ، على اختلاف بيئاتهم ، هى : كيف تنشىء مجتمعا حديثا فى عالم حديث •

هذا التناقض بين كوننا شكلا فى العالم الحديث وكوننا جوهرا خارجه ، يضطرنا ـ نحن الادباء العرب ـ الى معاناة قضايا مجتمع قديم فى عالم حديث ومعاناة قضايا عالم حديث فى مجتمع قديم•فى التعبير عن معاناتنا الاولى نعرض انفسنا لانتاج ادب يجده القارىء الحديث بعيدا عن قضاياه ومشكلاته ، وفى التعبير عن معاناتنا الثانية نعرض انفسنا ، من جهة اخرى ، لانتاج ادب يجده القارىء العربى مستوردا غريبا •

كنا نستطيع ، قليلا او كثيرا ، ان نتخطى هذه الصعوبة ، فنكتب ادبا يعكس حياتنا ويعالج قضايانا الخاصة على نحو يهم القارىء فى كل مكان ، لو لم نكن فى عملنا الادبى مكبلين بصعوبات اخرى هى ايضا ، فى اساسها ، قائمة او لا تزال قائمة ، لفقدان « الحداثة » فى عالمنا العربى •

اولى هذه الصعوبات اللغة • هل تعلمون اننا نفكر بلغة ، ونتكلم بلغة ، ونكتب بلغة؟ أنكون،أننا اذن فى رأى البعض،كالدكتور ليفيز،لانكتب ادبا قط، لاننا لا نكتب بلغة الشعب ، بلغة الحياة ؟ الم يبدأ الادب الانكليزى مثلا بتشوسر ، والايطالى بدانتى ؟•

هذا الحرص الذى يبديه العرب على تجميد اللغة فى قواعدها القديمة المتوارثة دليل واحد على ان العقل العربى ليس حديثا بعد ـ اى ليس ، بهذا الصدد ، علميا ولا علمانيا • فهو ما يزال يخضع الحقائق الموضوعية للرغائب الذاتية • فمن الحقائق الموضوعية ، مثلا ان اللغة تتطور مع الزمن ، وانها انما تتطور على السنة المتكلمين بها • على ان رغبتنا الذاتية فى ان نرى انفسنا امة عربية موحدة ، تحملنا على التمسك بلغة عربية موحدة خرجت من الافواه الى بطون الكتب ، كنا نعتبرها لغة الوحي فمنعناها من ان تتطور التطور الطبيعى الذى جرت على سننه جميع اللغات • واليوم اذ ضعفت الاعتبارات الدينية فى نفوسنا اقمنا فى وجهها عائقا من نوع جديد ، حين اخذنا نعتبرها لغة القومية العربية •

فالسؤال الآن هو : كيف نوفق بين رغبتنا الذاتية هذه ، وبين ان يكون لنا ادب حى بلغة الحياة ؟

الواقع اننا استنفدنا، او كدنا نستنفد ، منذ ابى نواس، امكان تطويع اللغة الفصحى لحاجة التعبير الحى النابض عن خلجات نفوسنا وتأملات عقولنا • ففشلنا فى المسرح وفى السينما ، وسنفشل قريبا فى الرواية والقصة حيث اقتنعنا حتى الآن باستعمال اللغة المحكية فى الحوار • وسيأتى يوم ندرك فيه ان الحقيقة لا تتجزأ وان ما لا يصح ان يكون لغة المسرح والسينما والحوار القصصى ، لا يصح ايضا ان يكون لغة الادب فى جميع فنونه •

على ان ذلك لن يتم عن طريق المجامع اللغوية والمؤتمرات العلمية ، كما انه لن يتم ـ ونحن لم نبدأ ثورتنا الحقيقية ، اى الروحية والعقلية بعد ـ بفعل الارادة الفردية أو الجماعية الواعية • بل انه سيتم ، بمثل ما يتم تفتح الوردة ونضوج الثمرة ، خفية وبثبات • فلا بد من ان تصل الحياة الى غايتها عاجلا او آجلا •

ان اللغة للاديب ، لا سيما الشاعر ، هى كل شىء • فكيف يصنع الاديب اذا لم تحى لغته ، اذا لم يحيها ويحيها مع نبضات قلبه، اذا لم يصل بها الى عمق اعماق الآخر ؟ نحن نعلم ان اللغة لا تصطنع ، وان الحلول التى يضعها المتخلفون منا ليست حلولا • فهى تتجاهل الحقيقة او تجهلها • والحقيقة هى ان اللغة العربية تطورت وتتطور دائما على السنة شعوبها ، وان هذه اللغة العربية المتطورة هى لغة الحاضر والمستقبل ، وان استخدامها فى الكتابة كما فى الحديث امر محتوم • عندئذ نتغلب على هذه الصعوبة الاساسية فى وجه أدب عربى حى مبدع ، حديث •

الارض التي اصبحت ارضا عربية هي مهد الانسان بل هي مهد الله ايضا • فما تحسب الا ان المياه التي كان الله يرفرف على وجهها في البدء، كانت تغمر هذه الارض• في هذا فخارنا الذي ما بعده من فخار • على ان هذا الفخار لم ينجنا في مراحل التاريخ من منتهى البؤس والشقاء • فحتى اليوم لا نزال ننكب في ارضنا ونتردى في عار تفاهتنا • نحن الذين لعبنا اعظم ادوار التاريخ الحضاري ، ماذا فعلنا منذ الف سنة، بل ماذا نفعل اليوم ؟ عندنا ثورة بالقوة، نحاول ان نصيرها ثورة بالفعل • حتى هذا لا يعدو كونه املا • واذا كان لهذا الامل ان يتحقق يوما – وهو سيتحقق باذن الله – فلن يكون الا بعد صراع بيننا وبين انفسنا ، وبين القوى الخارجة عنا – صراع سيقلب الارض تحتنا ويبدل دنيانا • ذلك اننا نرزح ، اكثر من اى شعب في الارض ، تحت عبء تاريخ متطاول في القدم خبر كل شيء وعانى كل شيء وقد بلغ من تشابك تاريخنا هذا وتعقده وتنوعه انه سلبنا الاستقرار والتعمق والتاصل في حدود تاريخية معينة ، ذات لغة واحدة وحضارة واحدة مستمرة عبر الاجيال• وكم حاول اسلافنا ، في مختلف مراحل تاريخنا ، ان يرسموا ، بالدماء حينا والدموع حينا آخر ، خطوط هذه الحدود ويفرضوا في نطاقها وحدة لغوية وحضارية ، فاخفقوا • وكانت آخر المحاولات الاسلام • وحين اخذ يتصدع ، كقوة سياسية واجتماعية في عالم اليوم ، احللنا محله فكرة القومية • فهل ننجح نحن ، حيث اخفق اسلافنا من قبل • ؟

مشكلتنا اننا ، منذ القدم ، نعشق الافكار الكبيرة اولا ، ثم نسعى الى تجسيدها • وكثيرا ما ازداد عشقنا لها كلما بدت لنا مستحيلة التجسيد • بل طالما اضمحل عشقنا لها حالما تتجسد او ندرك انها لا محالة ستتجسد • ففي طورنا الاسلامي مثلا ، تراءت لنا فكرة الجماعة سبيلا الى الوحدة والاستقرار ثم سعينا الى تحقيقها بجميع الوسائل • حتى لاصبح تاريخنا في هذا الطور تاريخ صراعنا للحفاظ عليها • وها نحن اليوم ، في طورنا القومي ، نستبدل فكرة الجماعة الدينية بفكرة القومية الاكثر انسجاما مع طموحنا ومع مفاهيم العصر الذي نعيش فيه • فهل يأتي يوم نزهد فيه بعشقنا الافكار الكبيرة ، فندرك ان المجتمع الثابت الخلاق قد يكون المجتمع الذي ينبت طبيعيا في بيئة ما ، لا الذي تفرضه الفكرة على تلك البيئة • عندئذ قد ننهي رحلتنا الطويلة عبر عصور مديدة من التقطع التاريخي •

هذا التقطع التاريخي هو صعوبة اساسية اخرى امام نمو ادبنا العربي وازدهاره •

وهنالك صعوبة ثالثة هى اشد الصعوبات التى ذكرنا عنادا وابعدها اثرا فيما نعانيه ونكابده فى هذا العلم الحديث ، اعنى بها انغلاقنا على انفسنا وانفصالنا عن جهد الانسان الحضارى المتواصل المتصل·هذا الانغلاق او الانفصال تم نهائيا بانهيار سلطاننا فى الاندلس ، عندئذ خيم الانحطاط وعم الظلام · وعاش فلاسفتنا هناك فى الغرب ، وماتوا هنا عندنا فى الشرق · كان ذلك نتيجة منطقية متوقعة لعملية الخنق المستمر التى بدأت ، فى تاريخنا الاسلامى ، بزوال عهد المأمون · فسحق المعتزلة وسحل الحلاج · وكانت آخر السلسلة ظهور الغزالى ، فى السنوات الالف ، واختفاء العقل من ديارنا فى الالف الاخيرة ·

نحن اليوم ندرك ما حل بنا · ومنا من يدرك لماذا · هؤلاء يقولون : حضارة الانسان واحدة لا تتجزأ · كل انفصال عنها ، وانغلاق دونها ، موت · فاذا اردنا ان نحيا ، علينا ان نتصل وان ننفتح · واذا كان شىء فى تراثنا يحول دون هذا الاتصال والانفتاح فبئس هذا الشىء ؛ كنا فيما مضى شركاء عاملين فى حضارة الانسان ويجب ان نظل كذلك اليوم · اعطيناها حين امكننا العطاء ، فلا عار علينا اذا اخذنا منها اليوم · بل العار فى ان لا ناخذ اليوم ، لكى نستطيع العطاء غدا ·

هؤلاء هم الثوريون الحقيقيون فى عالمنا العربى · عنوان ثورتهم : كل ما يقف عائقا امام اشتراكنا فى تجارب الانسانية كلها ، امام وحدتنا مع الحياة الانسانية ، امام دخولنا التاريخ الانسانى ، امام مواكبتنا سائر الشعوب فى العلم والادب والفن ، امام جهادنا الانسانى المشترك فى سبيل تحقيق حياة افضل ــ كل ما يعيقنا عن الصيرورة واحدا مع العالم ، هو ليس من تراثنا الحقيقى الاصيل فى شىء ·

قد يكون فى عرض هذه الصعوبة على هذا النحو شىء من المبالغة بل من التشاؤم · فنحن اليوم نتصل بالفعل وننفتح · المكتبة العربية تزداد مع الايام تضخما بالكتب المترجمة ، الاخذ والعطاء قائم بيننا وبين سائر العالم · الانظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى عالمنا العربى مستمدة من خبرة الانسان عامة وحاجتنا نحن على وجه الخصوص · العلم والتكتيك يغزوان حكوماتنا ومعاهدنا ، بل عقولنا · من ينزل فى عالمنا العربى ، يدهشه التقدم الحضارى الذى احرزناه فى مدى سنوات ·

صحيح انما النقل شىء والخلق شىء آخر · ما لم ينبع الماء من اعماق ارضنا عبثا نأمن ويلات القحط والجوع · علينا ان نفض السر بعقولنا لا بعقول سوانا · علينا ان نتواضع وان نتضع لكى نتعلم ونعرف · علينا ان نكون لكى يتاح لنا ، فى نهاية الامر ان نصير ·

مـن شرفـة التراث الحضاری کله ، منـذ قلقـامش وهـومیروس وطالیس وسوفوکلیس حتیفولکنر وسان جرنبیرس وهیدیجر، یجب ان نصنع ادبا•ومن شرفته یجب ان یطالعنا القاریء العربی ویقیمنا الناقد العربی • شکسبیر ، کأبی نواس ، لنا ومنا ، بقدر ما هو للانکلیز ومنهم ، بقدر ما هو للفرنسیین ومنهم ، بقدر ما هو ، جملة ، لتراث الانسان وفنه • فی ذلك نحن شرکاء لا فضل لواحدنا علی الآخر الا بالعطاء المبدع الخلاق •

(4)

بقی ان اذکر صعوبة آنیة ، وان لم تکن جدیدة ، تعیقنا ، نحن الادباء العرب ، عن اداء رسالتنا علی الوجه الاکمل • هذه الصعوبة هی الطغیان السیاسی فی بعض مجتمعاتنا العربیة •

اعود الی تعشقنا الافکار الکبیرة • من اجل هذا العشق ، یسهـل علینـا التضحیة بکل شیء ، حتی بحریتنا ، بانسانیتنا • الفکرة الکبیرة التی تستحوذ علینا الیوم هی فکرة القومیة وما تعده من بناء مجتمع واحـد کبیر تسود فیـه العدالة وتتوفر عناصر القوة والکرامة والتقدم•لا باس ، الفکرة جمیلة ، وعسی ان تتحقق • انمـا کیف ، وعلی حساب ماذا ؟

هذا هو السؤال الاول والاخیرالذی یجابهه الادباء العرب الحقیقیون الیوم • انه شبیه بالسؤال الذی جابهه ویجابهه جمیع ادباء المجتمعات الساعیة الی النهوض السریع بتطبیق فکرة مثالیة تحولت الی عقیدة شاملة مغلقة لا تقبل الجدل والنقاش •

کیف ، وعلی حساب ماذا • ؟

بالضبط والارهاب ؟ کلا ، بسلب الحریات الشخصیة ؟ کلا • بخنق حریة الفکر ؟ کلا ، والف لا •

اننا نرفض ای عذر او مبرر ، نرفض ان نسجن نحن الیوم وعلی امـل ان یطلق سراح اولادنا غدا•حیاتنا اعطیت لنا نحن، ونرید ، ان نحیاها نحن، لا ان یحیاها اولادنا عنا • وکما أن لا احد یموت عن أحد،کذلك لا یحیا احد عن احد • لکل حیاته وموته • ولکل جزاؤه عن نفسه هو لا عنسواه ، عند ربه فی الیوم الاخیر •

الطغیان السیاسی ، من اجل تحقیق غایة مثلی ، وسیلة عتیقة حان لها ان تبلی•الانسان الحر وحده یحقق کل غایة ، بعبودیته لا یتحقق شیء•الانسان ، فی کمال حریته وکرامته هو قبل ای غایة ، من له اذنان للسمع ، فلیسمع •

اذا كان ما نهدف الى بلوغه حق ، ونؤمن انه حق ، لا حاجة بنا قط الى ان نتوسل الى بلوغه غير وسيلة حق ٠ والطغيان السياسى ، بما يزرعه من رعب فى النفوس ، وبما يقيم من موازين الفكر والسلوك ، ليس بالوسيلة الحق ٠ الوسيلة الحق هى احترام حرية الراى ، وافساح المجال للنقد والجدل والنقاش، واعتبار ان لا شىء مهما يكن ، محرم على العقل ٠

(5)

بمثل هذه الصعوبات نقف نحن الادباء العرب فى العالم الحديث ٠ وهى صعوبات لا يحسدنا عليها احد ٠ لكننا سنقهرها مع الايام ٠ فلنا من مئاثرنا فى التاريخ الانسانى ما يشدد عزمنا ويجدد فينا الايمان بقدرة الاجيال الادبية العربية الصاعدة على اداء قسطها نحو ادبها ونحو ادب الانسان ٠

الاديب العربي والثقافة العالمية

بقلم : عيسى الناعوري

(١)

عالمنا الحاضر صغير جدا ، لم تعد عشرات الآلوف من الاميال التى تفصل بين بلاد وبلاد ، حواجز تعوق التواصل الانسانى السريع المستمر المتين • لقد اصبحت الحدود البعيدة تنهار فى ثوان معدودات امام عبقرية الانسان ووسائله المدهشة للاتصال باخيه الانسان فى كل ارض ، وايصال افكاره واخباره اليه بسهولة خارقة •

هذه السهولة فى الاتصال ، وهذا اليسر فى التبادل ، اللذان جعلا من العالم الواسع ، ذى القارات المتعددة المترامية ، التى تفصل بينها بحار ومحيطات ، عالما صغيرا ، كان لهما اثرهما المباشر كذلك فى جعل الاديب العربى يندمج فى تيار الفكر الانسانى ، ويتغلغل فى مختلف فنونه ومدارسه ومذاهبه واتجاهاته وتطوراته ، ويتصل اتصالا مباشرا وثيقا باعلامه وبما ينتجون من روائع ، فهو من مكانه فى غرب آسيا وشمال افريقيا ، يعرف كل شيء عن الفكر الانسانى فى كل القارات •

واستطيع ان أؤكد ههنا ان للاديب العربى ميزة على غيره من أدباء العالم . فى أنه يعرفهم ولا يعرفونه ، ويعيش معهم ولا يحسون به ، ويراقب تطور انتاجهم وتفكيرهم ولا يدرون من امره شيئا ، انه يعرف لغاتهم ، فيقرأ ادابهم فيها مباشرة ، ومالا يقرأه فى لغته الاصلية يقرأه مترجما الى لغة اخرى اجنبية او الى العربية ، فهو مع أدب كل أمة وأدب كل عصر ، يقرأ ، ويفهم ، ويقتبس ويتأثر ، وهو بالتالى يطور أدبه على ضوء ذلك كله ، بحيث يصبح ادبا انسانيا كغيره من آداب الامم الراقية الاخرى ، وقد قطع فى ذلك شوطا جد بعيد ، فى الشعر ، وفى القصة وفى الرواية ، وفى المقال ، وفى النقد الادبى ، وفى كل فن من فنون الفكر •

والعرب لم يفعلوا هذا فى الحاضر فقط ، بل فعلوا مثله فى الماضى كذلك ، فقد قامت النهضة الفكرية فى العصر العباسى على التلاقح الفكرى ، بترجمة الفلسفات والعلوم الهندية واليونانية والفارسية ، فاتصل بذلك الفكر العربى بالفكر الانسانى ، وأثر كل منهما فى الآخر تأثيرا مباشرا عميقا ، فبينما ازداد الفكر العربى غنىوعمقا عنطريق هذا التلاقح رأيناه يمضىقدما فينشىء

ويبدع ، ثم يزيد فى ثروة الفكر الانسانى وينقله مشبعا بالغنى والعمق الى العالم كله ، ويهيىء بذلك ويضع البـذور والسماد للنهضة الاوروبية ، التى نشأت بعد ذلك وراحت تنمو وتتطور الى يومنا هذا ٠

لقد تفاعل الفكر العربى مع الفكر الانسانى فى المـاضى ، وهـو الآن اكثر تفاعلا معه فى مختلف اقطاره ومطارحه ، واذا كان الفكر العربى فى الماضى قد هضم ما سبقه وزاد عليه حتى اكمله ، وسلمه الى أوروبا ليكون اساسا لنهضتها الحديثة الرائعة ، فان الفكر العربى اليوم يتفعل مع الفكر الانسانى العصرى تفاعل الند المبادل ، بعد ان كان فى بداية عصر النهضة العربية الحاضرة ـ اى فىالقرنالتاسع عشر وبداية القرنالعشرين ـ يتطلع اليه تطلعالمستمد المقلد٠

وقد يكون هذا فى حـاجة الى شرح ، فلأبين اذن كيف قـامت نهضة الادب العربى المعاصر ، وكيف كان الاتصال الجديد بين الغرب والشرق العربى ، وبين الفكر الغربى والفكر العربى الحديثين ٠

لقد كان التلاقح الفكرى بين العـرب والغـرب دائمـا عن طريق الحروب والفتوح : العرب فى العصور الوسطى هـذبوا الفكر الغـربى ومهدوا طريق النهضة الاوروبية بنشر نتاجهم الفكرى فى اوروبا ، عن طريق الفتح العربى لا جزاء من اوروبا ، ولا سيما لاسبانيـا وصقليـة ، وفى العصر الحديث عـاد الغربيون يعطون العرب ما اخذوه منهم عن طريق الفتوح كذلك ، او ما ندعوه بلغة اليوم بالاستعمار ٠ فنحن عندما ندرس تاريخ النهضة الادبية الحديثة فى البلاد العربية ، نجعل من غزوة نابليون لمصر ، فى نهاية القرن الثامن عشر ، نقطة انطلاق ، ونعتبر البعثة العلمية التى رافقت تلك الحملة حجر الاساس فى تلك النهضة ، واما الفترة التى سبقت تلك الغزوة ، والتى كانت البلاد العربية فيها خاضعة للحكم التركى ، فنحن ندعوها عصر الانحطاط ، وهى عندنا الفترة المظلمة التى وقفت فاصلا بين الدور الذهبى القديم للفكر العربى ودور انتفاضته الحديثة ٠ فى تلك الفترة المظلمة وقفت حركة الاخذ والعطاء بيننا وبين عالم الفكر المبدع ، فلم تكن الدولة التركية المسيطرة فى بلادنا العربية ذات اثر فكرى او حضارى ، فيتفاعل الفكر العربى مع فكرها ، ويمضى الاثنان فى بناء حضارى يزيد المدنية الانسانية غنى واشراقا ، وانما تفاعل خمول المحكوم وضعفه مع الجهل الحاكم واستبداده ، فكان الانحطاط الفكرى الذى رافـق الحيـاة العربية قرونا طويلة ، كانت كافية لقتل كل أثر للحس العربى ، لولا مـا فى الامـة العربية من عناصر الحيوية والبقاء التى تقاوم كل عوامل الهدم والفناء ، والتى لا تلبث ان تنتفض كطائر الفينق (PHENIX) الخرافى ، حية قوية كلما ظن انها انتهت وتلاشت فى رمادها ٠

كانت غزوة نابليون ، اذن ، هى بدء الصلة الحديثة بين العرب والغرب ، ومن الناحيه الفكريه كانت اللمسه الاولى التى فتحت العيون المغمضه فى بلاد العرب ، لترى دنيا جديدة حيه وكنوزا من الفكر الانسانى غنيه زاخره ، ومن هناك مضى العرب يتصلون بالغرب عن طريق البعثات العلميه الى معاهد اوروبا تارة ، وحينا عن طريق الفنيين والعلماء الاوروبيين الذين ينتدبون للعمل فى بلاد العرب ، وطورا عن طريق المعاهد العلميه الغربية التى تنشا فى الشرق • وكانت هذه الصله الجديدة ــ بغض النظر عما ابتلى به الشرق ، من الوجهه السياسيه ، من شرور وويلات ــ وسيله لبعث الفكر العربى من رقدته الطويلة ، ثم لتطعيمه ، فيما بعد ، بلقاح جديد من الفكر الغربى الناهض المتطور ، حتى انتهى الامر الى ان اصبح المفكر العربى ، بوسائل العصر السريعه التى قربت كل بعيد ، على صله بأدق شؤون الساعه فى الفكر الغربى ، يعرفها ويناقش فيها مناقشة الند الواعى البصير ، وهو يطلع على الانتاج الفكرى الغربى منذ اليوم الاول لظهوره فى اسواق بلاده ، انه يقرأ مؤلفات سارتر فى اليوم نفسه الذى يقرأها فيه اهل باريس ، ومؤلفات اليوت فى اليوم الذى يقرأها فيه أهل لندن ومؤلفات « همنغوى » فى اليوم الذى يقرؤها فيه اهل نيويورك ، وهكذا • ولا تنشأ مدرسة جديدة فى الغرب الا وتنتقل حالا لتجد لها اتباعا واشياعا فى البلاد العربيه ، فيدور النقاش حولها فى صحف بلادها والصحف العربية فى آن واحد بين مؤيديها ومناهضيها • ولكن هل جاء هذا كله فى قفزة واحدة قصيرة ؟

لقد مضى على بدء عصر النهضة اكثر من مائة وستين عاما ، كان نحو قرن كامل تقليدا للقديم ، وتقليد القديم معناه : اخضاع الفكر والتجربة والاحساس الى اللغة ــ الى الالفاظ والتعابير ، الى البلاغة وقواعد الصرف والنحو ، ومعناه ايضا السير فى نطاق الدائرة التى ضربها الاقدمون للاتجاهات والفنون والمفاهيم الادبية ، وهى بالنسبة الى مفهومنا الحاضر بدائية لا تشبع الروح والعقل • وهكذا اضاع العرب نحو قرن كامل من الزمن فى اخضاع الحاضر للماضى • كانت ازياء الماضى هى لباس الفكر العربى طوال القرن التاسع عشر كله ، فلم تبدأ المحاولات الجدية للتفاعل مع الفكر الغربى ، والانطلاق من عبودية القديم ، الا فى القرن العشرين ، ولم تؤت ثمارها الفعلية الا بعد الحرب العالمية الاولى ، بشكل خاص ، ثم بلغت منتهاها بعد الحرب العالمية الثانية ، وبذلك خاب رأى الشاعر الانكليزى ريارد كلبنج القائل ــ «الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا» فقد التقى الفكر الشرقى والفكر الغربى على صعيد واحد ، وعلى مفاهيم انسانية واحدة ولم تستطع الاطماع السياسية والمذاهب الاجتماعية ان تقيم الحدود والحواجز

لان الفكر النير الحر لا يعرف الاطماع ولا يقيم الحواجز ، انه كنور الشمس ، ملك للانسانية كلها لا لارباب معنيين ، ولا لاجيال محددة ·

على ان هذا حاصل من جانب واحد — على الاكثر — وهو الجانب العربي ، ولم يلق بعد الاستجابة الداعية ولا الواعية من الجانب الاخر · فبينما يعيش الاديب العربي اليوم حياة الفكر الغربي المعاصر لحظة فلحظة ، نجد الاديب الغربي يجهل كل شيء عن الفكر العربي المعاصر ، وعن اصحابه ، وعن اتجاهاته ومفاهيمه ، والاديب العربي يقوم بعملين في آن واحد : عمل الاديب المبدع من عند نفسه ، وعمل المترجم الذي ينقل كنوز الآداب الاخرى الى لغة قومه ، فهو يشارك في الخلق وفي نشر الفكر الانساني معا ، لانه يجيد الى جانب لغته القومية لغة او لغات اخرى حية تتيح له ذلك ، وليس بين الادباء الغربيين اطلاقا من اهتم بدراسة العربية لينقل روائع الفكر العربي الحديث الى لغة قومه ويعرف بها ·

غير ان هناك فئة المستعمرين ، وهي فئة قليلة جدا ، وهذه الفئة الجليلة العاملة كانت جهودها — ولا يزال اغلبها — منصرفة الى ماضي الامة العربية ، الى تريخها وثقافتها وفنونها القديمة ، بحيث يخيل الى القارىء الغربي ان العرب امة ماتت منذ زمن طويل ، فلم يبق منها غير الذكر · ولم يبدأ اهتمام المستشرقين بحاضر الفكر العربي الا في العهد الاخير ، وكان الذين انصرفوا الى التعريف به فئة قليلة جدا ، من امثال (فرنشسكو غبرييلي ، وامبرتو تستانو ، ومارتينو مريو مورينو ، وجونسون ديفيز) وعدد قليل آخر · فمن هؤلاء من الفوا في تاريخ الادب العربي الحديث ، وعرفوا بعض كبار رجاله وآثارهم الادبية ، ومنهم من ترجموا بعض الآثار الادبية الحديثة الى لغة اقوامهم · وكم اتمنى ان يكتفي السادة المستشرقون بما نبشوا من آثار الماضي ، وينصرفوا الى روائع الحاضر ، ليزيلوا من اذهان شعوبهم ان العرب امة شاخت وماتت من زمان ، فهي لا تدرس اليوم الا كما تدرس الطلول البوالي ·

على ان الآثار الادبية الحديثة التي ترجمها هؤلاء المستشرقون الاعلام من الادب العربي ، لم تنل من القارىء الغربي حظا من الاهتمام ، بل بقي مدى انتشارها محدودا جدا ، اذ ان عدد النسخ التي تطبع منها يعد بالمئات فقط ، كما علمت ذلك من اولئك الاعلام المستشرقين انفسهم ، والسبب في ذلك — كما بحثته مرة مع المستر جونسون ديفيز — هو ان الغربيين لم يعتادوا ان ينظروا الى العرب نظرة التقدير الجدي ، لان العرب كانوا الى عهد قريب جدا — ولا يزال بعضهم الى اليوم — خاضعين لحكم الغريب ، فهم في نظر الغربيين شعوب متأخرة لا تنتج شيئا ذا قيمة في عالم الفكر ، ولذلك لا يهتم القارىء الغربي بقراءة ما يترجم

الى لغته من ادبهم الحديث ، ولكن القارىء الغربى نفسه يهتم كثيرا جدا بكتاب (الف ليلة وليلة) وحده ، فيعاد طبعه بعشرات الوف النسخ فى كل لغة غربية ويعتقد ان هذا الكتاب هو النموذج الاهم والاروع للانتاج الفكرى العربى ٠

هذه النظرة الخاطئة المجحفة لا تزال تقيم حاجزا ضخما دون التبادل الفكرى الحقيقى بين العرب والغرب ، يعزل ـ كما اسلفنا ـ جانبا واحدا فقط هو الغرب ولا يعزل الجانب الآخر ، وهو العرب ٠ ان القارىء العربى يجد بين يديه كل الانتاج الفكرى الغربى ، من قصة وشعر ورواية ونقد ، ولا يجد القارىء الغربى بين يديه شيئا من الانتاج الفكرى العربى ، ويوم تزول الهوة التى اقامها التعالى وسوء الظن وعـدم التقدير ، فعزلت بها الغرب عن الفكر العربى الحديث ، فسيكون التفاهم اقوى واجدى بين الشعوب الغربية والامة العربية ، لان الفكر النير الحر ، هو رسول الاخاء والحب والسلام والحرية فى العالم ، وسيعرف العالم عندئـذ اين يضع الاديب العـربى من قافلة العالم الحديث ، ومن قطار الادب العالمى المعاصر ٠

(2)

الانسان هو غاية الادب ، واذا قلنا « الانسان » فمن البديهى اننا نعنى كل ما له صلة به ، روحا وجسدا ٠ ومن الانسان جاءت لفظة الانسانية « فالى اى مدىساهم الادب العربى الحديث فىخدمة الانسان والانسانية ؟ وما هى الاوضاع التى تملى عليه ادبه ؟

هذه النقطة تحتاج الى شرح طويل يستحق ان يكون محاضرة وحده ، ولكننى اوجز ذلك بقدر استطاعتى ههنا ٠ وقبل ذلك اود ان ابدى ملاحظة وهى اننى وجدت الادب الايطالى المعاصر لا يزال يعيش بروح عهد (المقاومة) على الرغم من ان اكثر من خمسة عشر عاما قد مضت على سقوط الدكتاتورية الفاشيستية والنازية ٠ وسبب ذلك ان الشعب الايطالى كان يقاوم الطغيان ليصل الى الحرية ، فالمقاومة التى اوصلته الى هذه الحرية تستحق ان تكون شيئا يعيشه ويمجده ويتذكره الشعب الذى خاضه ليصل به الى الحرية ، وانا اعتبر هذه ميزة للادب الايطالى المعاصر ، كما اعتبر ميزة اخرى له انه يعيش حياة الشعب الايطالى الحاضرة ـ المـأساة منهـا والملهـاة على السواء ـ يعيشهـا بصدق واخـلاص وجمال فنى ٠

ومن هنا انطلق لاقول ان الاديب العربى يعيش اكثر من اى اديب آخر فى دنيا مأساة الانسانية المعذبة فى ارضه ٠ وهذه حقيقة لا يعرفها فى الغرب الا الاقلون

جدا واذا عرفوها فقل منهم من يفهمون دواعيها واهدافها الحقيقية ، فاذا لم يكن مؤتمرنا هذا فرصة لشرح هذه الحقيقة المهمة جدا ، فلن تكون هناك فرصة اخرى تتيح لاهل الفكر فى العالم الغربى ان يدركوا اوضاع زملائهم فى العالم العربى • ونحن لا نستطيع ان ندرس حركة فكرية فى شعب ما وفى عصر ما دون ان نلم بالظروف السياسية والاجتماعية التى اثرت فيها وطبعتها بطابعها•

وان الاديب العربى ـ سواء اكان مقيما فى وطنه ، ام مهاجرا فى اقاصى الارض يعيش ماساة الحرية فى ارضه ومأساة الانسانية المعذبة فى قومه • فمنذ ان شرع الاديب العربى يحس بوجوده ، ويقدر مسؤوليته ، راى نفسه امام اوضاع غريبة مؤلمة فى كل جزء من اجزاء وطنه ، فهو فى مصر مع ثورة محمود عرابى ضد الاستغلال ، ثم مع ثورة سعد زغلول ضد الاحتلال ، وفى الجزيرة العربية والهلال الخصيب مع الحسين بن على فى الثورة الكبرى للاستقلال ، وفى ليبيا مع عمر المختار ، وفى الجزائر مع عبد القادر الجزائرى ، وفى مراكش مع عبد الكريم الريفى فى مكافحة الاستعمار بمختلف صنوفه واجناسه ، وهكذا ايضا فى كل ارض ـ عربية •

والى هنا يجب ان اعترف بان الروح القومية الواحدة لم تكن بعد قد شملت اقطار العروبة كلها، لتكون حركاتها التحريرية حركة امة واحدة، يشعر بها جميع العرب ويتئازروا على نجاحها ، بل كانت الحركات كلها اقليمية ، يشعر بها ويعمل لها اهل الاقليم الواحد وحدهم ، دون ان يجدوا عونا من الاخرين • واذا كنا قد قرأنا قصيدة لهذا الشاعر العربى او ذاك فى تمجيد ثورات محمود عرابى وعبد القادر الجزائرى ، وعبد الكريم الريفى ، وعمر المختار ، فقد كانت اصواتا فردية ترتفع مرة ثم تصمت دون ان تجد استجابة مشجعة فى نفوس العرب الآخرين •

واول حركة احست بها مجموعة كبيرة من الاقطار العربية ، ووحدت فيها الكفاح والجهد ، كانت الثورة العربية الكبرى التى قادها الحسين بن على عام 1916 ، وانضم تحت لوائها عرب سوريا والعراق والحجاز ولبنان والاردن وفلسطين ، ثم جاءت مأساة فلسطين عام 1948 فهزت كل عربى فى الوجود ، ومنها بدأت القومية العربية تتأجج فى نفوس العرب ، وتقوى ، وتتسع ، ثم زادت فيها حرب الجزائر ، واحداث السويس ، حتى اصبحت الوحدة القومية اليوم هى الرابطة الكبرى التى تلف جميع اقطار العرب فى آسيا وافريقيا ، واصبح الجرح فى جسم عربى واحد جرحا فى جسم كل عربى •

هذه الحقيقة الاولية - حقيقة القومية العربية - يجب ان نقررها قبل ان نتحدث عن الاديب العربى ، فاذا لم نفهمها ونقتنع بها فما يمكن ان نفهم الاوضاع الروحية والاجتماعية للاديب العربى ، التى منها يستمد ادبه ، والتى يعيشها روحا وحسا وواقعا ، وفيها وعن طريقها تأتى مساهمته فى الادب الانسانى ، ادب الكفاح لاجل حرية الانسان وسعادته وتقدمه ٠

والحقيقة الثانية هى فى تعريف الادب العربى الحاضر - منذ عام 1948 بشكل خاص ، وهو عام المأساة الفلسطينية - بانه فى مجموعه ، ادب كفاح ، او ادب مقاومة ، او ادب تحرر٠حتى القطع الخيالية والعاطفية والوصفية فى ادبنا العربى الحاضر لا بد ان نجد فى مقاطعها وحروفها قطرات دم ، وآثار جراح ٠ ذلك لان القومية العربية ، او الامة العربية ، تعيش الآن فترة كفاح ومقاومة وتحرر لا استقرار فيها ولا هدنة ، فان لم يكن ادبها صورة للحياة التى تعيشها فهو هراء سخيف ، ان العالم الادبى كله يستطيع الآن ان يفهم حياة الامة العربية من ادبها ، ويفهم ادبها من حياتها ، فهما شقان لشىء واحد : معيش ، والشق الآخر مكتوب ٠

وهناك حقيقة ثالثة لا بد من تقريرها كذلك ، ويجب ان يفهمها الجميع على وجهها الصحيح ، وهى ان تكتل العرب القومى الآن ، ونضال الاديب العربى فى سبيل تحقيقه ، ليس تكتلا عدوانيا على الاطلاق ، وانما هو تكتل للدفاع عن النفس امام الاخطار النازلة على العرب من كل صوب ٠

ان العرب امة تريد السلام ، ولكنها لا تريده على حسابها وحدها ، والاديب العربى يحب ان يكون انسانا مجردا عن كل دافع قومى او عنصرى او اقليمى ، يريد ان يعمل لخير الانسانية كلها ، لا لوطن واحد او شعب واحد ، ولكن الاخطار المحيطة بامته تجبره على ان يعمل لوطنه وشعبه ، أولا ، وبكل جهده على ضوء هذه الحقائق نسير فى حديثنا عن الاديب العربى ، وعلى ضوئها وحدها نستطيع ان نفهمه ونفهم ادبه المعاصر ، بعد أن نعرف حقيقة العوامل الملهمة والمسيرة لادبه ٠ انا ، مثلا ، ليس احب على من ان اجعل كل جهودى وحياتى لاجل تنشئة اولادى واسعادهم ، وان اراهم حولى كالعصافير الجميلة ، هـذا يغرد ، وهـذا يرفرف ، وهذا ينقر الحب عن يدى ، فأرى الدنيا كلها تضحك لى ولهم ، وتغمرنى بسعادة لا حد لها ٠ولكننى متى رأيت وطنى فى خطر فاحب الى ان اقدمهم معا للذبح فى سبيل الوطن ، لان لا قيمة ولا حياة لنا مندونه ٠ وكذلك حال الاديب العربى فى فترة النضال المرير التى تخوضها امته العربية اليوم ٠

ولكي نستكمل اطار البحث لا بد من ان نقول ان القومية العربيــة لم تكن قط دعوة شاملة واعية ملموسة قبل مأساة فلسطين عام 1948 ، وانما كانت ـ حينما بدأت عام 1908 خاصة ـ دعوة ضيقة لتوحيد بلدان الشرق الادنى العربية وحدها ـ دون مصر ـ فى بلد واحد مستقل عن الحكم العثمانى ، او متمتع على الاقل بحكم داخلى ضمن الدولة التركية ، حتى ان مصر نفسها كانت تعارض حينذاك الثورة العربية الكبرى ، التى كانت حلما من احلام العرب فى الشرق الادنى ، والتى كانت بداية النضال التحررى العربى الحقيقى ، وقد تجند لخدمتها ونجاحها جميع شعراء العرب ، وكتابهم وخطبائهم وصحــافتهم ، فى الحجــاز والعراق وسوريا ولبنان والاردن ، وضحى الكثيرون منهم بحريتهم وبارواحهم فى السجون وعلى اعواد المشانق فى سبيلها ٠

فلما جاءت مأساة فلسطين عام 1948 كانت هى النار التى اندلعت فى الهشيم كله ، فأشعلته فى آسيا وافريقيا ، وفى مدة قصيرة جدا كانت القومية العربية الشاملة دعوة كل لسان ، وامنية كل قلب ، ورسالة كل اديب ، وامل الخلاص الوحيد للعرب مما نزل بهم من ظلم وعدوان ٠ واقتنع كل عربى فى العالم بان لا خلاص للعرب من الظلم والعدوان الا بتكتل اقطارهم ووحدتها امام الاخطار ٠ وهم يضربون المثل بالعصى التى يمكن تحطيمها بسهولة وهى متفرقة ، ولا يمكن تحطيمها مجتمعة ٠

والى ما قبل مأساة فلسطين كان الاديب العربى ، فى الغالب ، لا رسالة له ولا هدف اجتماعى ٠ كان ينتج ادبا جميلا ، كغيره من آدباء العالم ، ولكنه لم يكن يعيش ادبه بهدف او بعمق ، فقد كانت اقطار العروبة متفرقة ، وكان كل واحد منها خاضعا لحكم اجنبى معين ، فهذا بلد تحكمه بريطانيا ، وذاك تحكمه فرنسا ، وذاك تديره هيئة الامم وهذا تحرر منذ عهد قريب وما زال يتخبط فى الفوضى التى خلفها له الحكم الراحل ، وذاك ما يزال يناضل للتحرر ، وهكذا دواليك ٠ وكان الادب يعانى مخاضا رهيبا فى هذه الاوضاع العجيبة ، فكنت ترى الكلاسيكى ينبش معاجمه وكتب اسلافه الصفراء ، والرمزى يغنى على ليلاه والرومانتى يعزف على هواه ، والسريالى يتخبط فى مسيره ، وكنت تجد الجمعيات والروابط الادبية تنشاء وتموت فى كل بلد عربى ولا تترك اثرا مذكورا ، لانها لم تقم على هــدف من حياة ، وانمــا على اساس التذوق الفنى ، او الرغبة فى الانتاج المشترك ، او ما الى ذلك ٠

وهناك شيء مهم جدا فى ايضاح هذه الحقيقة ، وهو ان عامة الشعب القارىء لم يكن لها حينذاك هدف من وراء القراءة ، ولا كانت تبحث عن نفسها وعن امانيها وآلامها فى ما تقرأ ، كانت تقرأ وكفى ، ولذلك كان الاديب ايضا يكتب

ما يطيب له ، يكتب وكفى ، ولم يكن النقد الادبى موجها صحيحا ، بل كان فى اغلبه مهاترات وحملات عنيفة يتقاذفها الكتاب لمجرد النيل من الخصم اكثر منها للتوجيه وبيان قيمة الانتاج الادبى ، والذى يرجع الى اعداد مجلات (الرسالة ، والثقافة ، والهلال ، والمقتطف) وهى نخبة النخبة من مجلات الادب العربى فى ذلك العهد ، يرى هذه الحقيقة صارخة ، وهكذا لم يكن (الانسان) غاية الادب الذى كان يكتسب حينذاك ، بل كانت الكتابة نفسها هى الغاية فى الغالب ، ومع ذلك كان فيها كثير من الادب الجيد ، دون شك ، وكان للادب اعلام كبار يستحقون الشهرة والمجد •

ولكننى اقف هنا قليلا لانطلق من محيط الشرق العربى الى ما وراء المحيط الاطلسى لاسجل ان جماعة من الادباء العرب كانت تعيش على ضفاف المسيسبى والامازون ، وتنتج ادبا غايته الانسان• تلك كانت فئة المهجريين فى الاميركيتين ، وعلى رأسها جبران خليل جبران فى الشمال ، وفوزى المعلوف فى الجنوب • وآثار جبران معروفة جدا فى جميع اللغات الحية ، وعلى الاخص كتابه « النبى » THE PROPHET وفوزى المعلوف معروفة آثاره لجميع الناطقين بالاسبانية والبرتغالية خاصة •

كان أدباء المهجر مجموعة كبيرة فى الولايات المتحدة الاميركية وفى جمهوريات اميركا الجنوبية ، ولا سيما البرازيل ، ولم يكونوا كلهم على مستوى واحد من الروح الادبية ، ولكن الذين انتجوا من بينهم ادبا انسانيا قلائل• وقد انتجوا ادبا انسانيا عذبا ، أثبت المترجم منه ، او الموضوع اصلا فى لغة اجنبية ، انه لا يقل اصالة وجمالا عن اى أدب عالمى آخر• واكتفى بأن اشير ههنا الى أدب جبران والريحانى والمعلوف كنماذج لهذا الادب الانسانى الجميل •

ولكن أدباء المهجر انفسهم لم يلبثوا ، حينما وقعت كارثة فلسطين ، ان انغمس الاحياء منهم فى أدب المأساة ، واكتووا بشعور النقمة والالم والثورة تماما كالادباء المقيمين فى الشرق العربى الذين عاشوا المأساة او جاوروا أهلها •

وقد يتساءل الانسان الغربى : ما هى مأساة فلسطين ، وكيف استطاعت ان تغير امة بكاملها ذات مائة مليون انسان ، يعيشون فى اقطار شتى مترامية فى آسيا وافريقيا ، وان تصل الى اميركا فتلهب نفوس مهاجريها بهذا الشكل الرهيب ؟

ومن حقه ان يتساءل ، ومن حقه ان يسمع الجواب ، وهذا الجواب سينير السبيل لمعرفة الروح التى تسود الادب العربى اليوم ، ولتبين الاوضاع الروحية والاجتماعية التى يستلهم منها الاديب العربى ادبه •

الذين طردوا عرب فلسطين من ارضهم ، واقاموا فى مكانهم دولة غربية ، كانوا يظنون ان هـذا سيكون المسمار الاخير فى نعش الامة العربية ، والمعول الاخير فى القضاء على المقاومة العربية · ولكن النتيجة جاءت عكس ما ارادوا وتوقعـوا ، فقد الهبت المأساة صدور العرب بالنقمة : الهبت اقـلام الكتاب والشعراء ، كما الهبت صدور الجنود فى الخنادق والثكنات ، وصدور الطلاب فى المدارس ، وصدور البدو الضاربين فى الصحراء ، وصدور المدنيين فى كل مكان من ارض العرب ، وجعلتهم يشعرون اعمق الشعور بان الوحدة العربية هى وحدها التى تمنع عنهم كل اذى ، ومن دونها ستظل الاقطار العربية كلها فريسة لكل طامع · ولو رجعتم الى كل الاحداث التى وقعت فى الشرق الادنى العربى منذ عام 1948 الى اليوم ، لرأيتم ان مأساة فلسطين كانت السبب الاول والمباشر فيها · واذا سألتم عن سبب النقمة التى يحسها كل عربى ضد الدول الغربية التى خلقت المأساة ، واستمرت الى اليوم فى مساندة الجريمة ، متحدية بذلك شعور الامة العربية بأسرها ، لعلمتم ان المأساة هى السبب الاول والاهم ، وان اى شعور مناوىء للغرب فى بلاد العرب ليس سوى نتيجة حتمية للمأساة الفلسطينية اولا ، ثم لما جاء بعدها من مآسى فى الجزائر ، وفى السويس ، وفى اطراف الجزيرة العربيـة ، وفى تونس ، وفى كل قضية عـربية وقف الغرب ضدها ·

الفلسطينيون الذين خرجوا من بلادهم لاجئين مشرديـن ، وتلقفتهم اقطار العروبة كلها ، استطاعوا ان يؤججوا روح الثورة والمقاومة والتمرد والنقمة فى كل مكان ، والجنود العرب الذين حاربوا فى فلسطين عام 1948 ، وسجل عليهم عار الهزيمة دون ان يهزموا حقا ، هم الذين قاموا بالانقـلاب لينتقمـوا ممن حملوهم عار الهزيمة ، والشعوب التى عرفت صانعى المأساة ومـدبريهـا فى فلسطين العربية من الدول الغربية ، هى التى حملت النقمة فى نفوسها عليهم وستظل تحملها ما دامت المأساة قائمة امام عيونها ــ ارضا مغتصبة ، وشعبا لاجئا مشردا ·

وطبيعى جدا ان يتأثر الادب بهذه الروح العامة ، وان ينغمس فيها ، وان يقودها فى جميع الميادين ، وقد فعل ذلك واصطبغ بالمأساة منـذ وقوعهـا ، ونتيجة لها اصطبغ بكل مأساة عربية اخرى جاءت بعدها ، فهو ثورة مستمرة مـع ثورة الجزائر الى ان تستقل الجزائر ، وحـرب مع حـرب السويس عام 1956 ، ومعركة فى تونس اليوم ، وهو يؤجج الثأر ويؤلب العرب ، ويمهـد

للوحدة العربية الشاملة · والاديب العربي يشعر بان ثورته لن تهدأ الا متى تمت الوحدة ، وزال الظلم والعدوان عن فلسطين والجزائر وعن كل ارض عربية وعند ذلك فان الاديب العربي ، ابن الارض التى اطلعت جميع ديانات السماء ، سيمد يده الى كل اديب فى الدنيا ، باخلاص ينسجم مع رسالات السلام التى طلعت فى ارضه ، ليقول له : ـ « هاك قلبي ويدى ، وتعال لنبني معا سلام العالم اخوانا متساوين متساندين احرارا » ·

وقد يتساءل الانسان الغربي ، او القارىء الغربي : الى اى مدى صور الادب العربي الحديث مأساة فلسطين ؟ والجواب على هذا انه على الرغم من المأساة قد بدأت منذ ثلاثة عشر عاما ، ولم يبق فى العالم العربي كله اديب او شاعر لم يكتب فى هذه المأساة ، الا ان كل ما كتب فيها لا يزال دون فظاعتها ودون هولها ، وهي ستظل توحى الى الاقلام ما دامت قائمة ، ولن تنتهى الكتابة فيها حتى تنتهى هى نفسها : حتى تتعاون اقلام الاحرار فى العالم كله ، وضمائرهم والسنتهم على انهائها بشكل يعيد الحق الى أهله ، ويعيد الشعب المشرد اللاجىء الى أرضه المغتصبة · وما يقال فى مأساة فلسطين يقال مثله فى مأساة الجزائر التى مضى عليها سبع سنوات وهى تخوض جحيم الحرب لاجل الحرية والاستقلال ·

لقد صور الادب العربي نكبة فلسطين فى الوف من القصائد والمقالات والاقاصيص ومئات من الروايات والكتب والدواوين ـ صور تعاون المتعاونين على الظلم ، وصور خيانة الانتداب قبل انتهائه وعند انتهائه وبعد انتهائه ، وصور جمال الجنة السليبة ، وصور المؤامرات التى مهدت للمأساة ، التى رافقتها او جاءت بعدها ، وصور اللاجئين وخيامهم المنتشرة فى العراء تحت الحر والمطر والبرد ، وصور كهوفهم ومغاورهم ، وصور الجوع والامراض التى تفتك بهم ، وصور صبرهم على كل شيء وترقبهم ليوم العودة ، واملهم فى الثار ، كما صور نضالهم الذى تعاون الغدر والظلم على احباطه ·

وكما يعيش الاديب العربي المعاصر مئاسى السياسة فى بلاده ، يعيش كذلك مشاكل الحياة الاجتماعية الداخلية ، مشاكل الفقر والمرض والجهل ، مشاكل الطبقات ، مشاكل القصور والاكواخ ، مشاكل العمال العاطلين والفلاحين الذين تبخل عليهم الارض ، مشاكل المدارس والجامعات ، وبالتالى كل المشاكل الاجتماعية التى تعانى منها بلاده ·

ان الاديب العربي اكثر من اى اديب آخر فى الدنيا ، يعيش كل الظروف

الموجودة فى بلاده ، السياسية منها والاجتماعيــة ، والاخــلاقية ، والروحية ، والفنية ، والثقافية ، انه يفكر ويكتب ـ بكل وسيلة فنية تتهيأ له ـ فى مشاكل الحكم والسياسة ، ويعالج مشاكل الشعب وحاجاته ، وفى الوقت نفسه يشارك العالم كله فى احداث حياته اليومية ، فى آدابه ، فى اختراعاته ، فى فنونه ، وفى كل شأن من شؤونه ٠

هذه جميعها هى الظروف الروحية والاجتماعية التى يعيشها الاديب العربى المعاصر ، ومنها يستمد ادبه ، ويؤدى رسالته فى الفكر الانسانى وفى خدمــة الانسانية ٠ على ان انغماس الاديب العربى فى مواكبة مشاكل قومه السياسية والاجتماعية ، وفى الواقعية الادبية ، لم يجعل من الادب العربى المعاصر أدبا التزاميا هادفا باكمله فانصراف الاديب الى معاناة مشاكل امته ليس معناه أن يتخلى عن كل مفهوم فنى آخر ٠ ان الحياة كلها وما وراء الحياة كذلك ، ميدان فسيح للنفس وللاديب ، والاديب العربى لا يلتزم جانبا واحدا ولونا واحدا من ألوان الفكر والحياة والفن ٠

ونظرة واحدة على الحركة الادبية الان ترينا ان هناك مذاهب فنية متعـددة تعالجها اقلام الادباء العرب ، ولا سيما الشبان منهم ، وان هذه المذاهب تتصارع وتتصادم بعنف ، واكثر ما يثير الصراع والصدام بين الاقلام هو الشعر ، فهناك فئة نزعت الى تقليد الشعر الغربى الحديث ، فجردت الشعر العـربى مـن اهم خصائصه ، وهى الموسيقى والهندسة البنائية ، وفئة ترى ان الشعر العربى لا يبقى له شيء من خصائص الشعر اذا تجرد من الموسيقى والهندسة البنائية ٠ حتى بين المنادين بالشعر الحر الجديد انفسهم نجد الخلاف عميقا جدا ، فبينما تريده فئة قائما على اساس التفعيلة العروضية الموسيقية ، تريده فئة اخرى مجردا من كل لون من الوان التفعيلة العروضية ، وتعتبر اللفظة والعبارة شعرا بغض النظر عن اى شيء آخر ٠ والمؤلفات التالية تعطينا الوانا من هذه المفاهيم الجديدة المتصارعة للشعر الجديد وهى : (لمن) لالبير أديب ، وهو يمثـل لونـا شعريا خاصا ، له انصاره ومؤيدوه ، و (تموز فى المدينة) لجبرا ابراهيم جبرا وهو يمثل لونا آخر له انصاره ومؤيدوه كذلك ، ولكن هاتين الفئتين اقل انصارا ومؤيدين من اللون الآخر الاكثر شيوعا ، وهو اللون الذى يعتمد على التفعيلة العروضية ، والذى ابتكرته نازك الملائكة فى العراق منذ عام 1948 ، مبتدئة بقصيدتها (الكوليرا) التى نشرت بعدئذ فى ديوانها الثانى (شظايا ورماد) فقد انتشر هذا اللون انتشارا واسعا بين شعراء الجيل الجديد فى جميع الاقطار العربية وكسب انصارا من بعض الشعراء الكبار ؟ وهذا اللون الشعرى غربى

النزعة (ايليوتى) المذهب ، ولا يزال النقاد والشعراء الكلاسيكيون ينظرون اليه بريبة واستنكار ، ويحذرون من المضى فيه ، ولكنه مع ذلك لا يزال يستهوى كل ناشىء لانه يجعل نظم الشعر عملية هينة لا تتعذر حتى على طلاب المدارس

اما فى النثر فالصراع بين المفاهيم محدود ، اللهم الا بين دعاة الالتزام ودعاة الادب الحر ، ولكن البون ليس واسعا جدا بين الفريقين ٠

والى وقت قريب جدا كان هناك صراع ايضا على الادب القصصى بين ان يكون صريحا من حيث التصوير الجنسى ، وان يكون مقنعا ، حرصا على الناحية الخلقية لدى النشء الجديد ، الا ان هذا الخلاف قريب من نهايته ، لان الادب هو لون الحياة نفسها ونحن فى القصة تلاميذ الغرب ، والقصة الغربية اليوم صريحة مكشوفة فى الغالب ، ثم ان مجتمعنا العربى نفسه قد ظهرت فيه فى السنوات الاخيرة اكثر من (ساغان) واحدة بين الاديبات الجديدات ، وظهورهن هذا يعتبر تحديا لكل مفهوم رجعى فى شؤون الجنس ٠

والآن يأتى السؤال التالى ، ولعله هو الغاية من هذه الحلقة التى نجتمع من اجلها اليوم فى روما : « ما هى قيمة الادب العربى المعاصر بالنسبة الى الآداب العالمية الاخرى » ؟ وبمعنى آخر : « اين تضع الاديب العربى المعاصر بين ادباء العالم اليوم » ؟

لقد قلت الشىء الكثير عن الروح العامة التى ينبع منها الادب العربى المعاصر وذكرت فى بداية هذا الحديث ان الاديب العربى المعاصر على صلة مباشرة بتيارات الفكر الانسانى ، ومختلف فنونه ومدارسه ومذاهبه واتجاهاته وتطوراته فى العالم كله ، وانه يتأثر تأثرا مباشرا بهذه التيارات الفكرية العالمية الى جانب تأثره بالعوامل الوطنية فى محيطه ، وانا اؤكد ان ادبنا العربى الحديث قد عرف اعلاما من الادباء والمفكرين لا يقلون ابداعا عن زملائهم الغربيين ٠ ولئن كان الغربيون قد عرفوا اديبنا الكبير جبران خليل جبران ، واحبوه ، واقبلوا على مطالعة مؤلفاته العديدة الموضوعة بالانكليزية فى الاصل ، والمترجمة فيما بعد الى نحو ستين لغة ، فليس جبران سوى واحد من الاعلام الذين اعنيهم ، وان يكن قد تفرد بلون خاص من الادب والاسلوب ٠ ان لدينا من أمثال جبران عديدين نعتز بهم ونفتخر ، وحين تترجم اعمالهم الادبية الى لغات الغرب ، سيجد القارىء الغربى انهم ليسوا دون الممتازين من كتابه ابداعا واصالة ٠

اننا نستطيع أن نقدم للعالم عشرات من كبار شعرائنا وكتابنا الاحياء والاموات ،ممن لمعت اسماؤهم فى عصر النهضة الحديثة ، وفى القرن العشرين

بنوع خاص ، ونحن واثقون من ان العالم سيعجب بهم اعجاباً كبيراً ٠ وعسير جدا ان اذكر ههنا اسماء ، فالاسماء عديدة ، وذكر بعضها سيجحف بحق الاخرين، الا انني اتمنى ان ارى آثار الادباء الاتية اسماؤهم تحتل عن طريق الترجمة المكان اللائق بها بين الآداب العالمية المعاصرة ، وهم : (طه حسين ، سلامة موسى ، توفيق الحكيم ، محمود تيمور ، نجيب محفوظ ، سعيد تقي الدين ، ابراهيم المازني ، توفيق يوسف عواد ، محمد عبد الحليم عبد الله ، احسان عبد القدوس ، يوسف السباعي ، مي زيادة ، مخائيل نعيمة ، ايليا ابو ماضي ، فوزي المعلوف ، شفيق المعلوف ، عمر ابو ريشه ، محمد مهدي الجواهري ، نزار قباني ، سعيد عقل ، بشارة الخوري ، ابو القاسم الشابي) وامثال هذه النخبة الممتازة من الكتاب والشعراء ٠ ان العالم الغربي الذي احب جبران خليل جبران عن طريق آثاره الموضوعة بالانكليزية والمترجمة عنها ، واحب فوزي المعلوف عن طريق ترجمته الى الاسبانية والبرتغالية ، واحب شارل القرم عن طريق ما كتبه باللغة الفرنسية، سيحب هؤلاء أيضاً، وسيجد فيما انتجته أقلامهم كنوزا ادبية رائعة لا تقل غنى واسما عن آثار الاعلام من كتاب الغرب وشعرائه المعاصرين ٠

ولقد يسال سائل : « لماذا لم يفز اديب عربي بجائزة نوبل مثلا ؟ » واجيب عن هذا بان جائزة نوبل — على شهرتها العالمية — لم تكن قط مقياسا صحيحا للادب ، وانما هي مجرد مكافأة لانتاج جيد ، ليس من الضروري ان يكون اجود انتاج ادبي عالمي ، ولكنها هي نفسها ترفعه الى مستوى عالمي ٠ ولو كانت مقياسا صحيحا نزيها ، لا تلعب فيه المؤثرات ، كما لعبت في الاعوام الاخيرة على الاقل ، لكان (طه حسين ، ومحمود تيمور ، وتوفيق الحكيم ، ونجيب محفوظ ، ومخائيل نعيمة ، وبشاره الخوري ، وشفيق معلوف ، ومحمد عبد الحليم عبد الله ، وسعيد عقل) احق بها ، دون شك ، من بعض من اعطيت لهم ٠

بقي الآن جانب لم اتناوله بعد ، وهو الجانب المادي ، في حياة الاديب العربي المعاصر ، وهذا في الواقع أقل الجوانب اهمية لانه لا يدخل في تقدير عمل الاديب وآثره في المجتمع ، ولكنه قد يعين على استكمال معرفة الظروف التي يعيش ويعمل فيها ٠

الادباء الذين يستطيعون ان يعيشوا من شق القلم قلائل جدا ، اذا اردنا بشق القلم ، العمل الادبي الصرف ، اي الكتابة والتاليف ، غير ان هناك عددا من الادباء يعيشون عن طريق الكتابة للسينما ، والصحافة ، او التعليم ، وبعضهم يعملون في دوائر الدولة او غيرها ٠ والمعروف ٠ عادة في اوساط الادب « ان

القلم وحده لا يطعم خبزا » ، ولذلك لا بد من مزاولة مهنة اخرى الى جانبه ، ليتمكن الاديب عن طريق دخله منها التوفر على الانتاج الادبى ٠

ودور النشر فى البلاد العربية ، ولا سيما فى مصر ولبنان ، كثيرة جدا ، ولكن قسما كبيرا منها يعنى على الاغلب بنشر القصص والروايات البوليسية والجنسية المترجمة ، لان رواجها اضمن ، وربحها اوفر ٠ وهذه ظاهرة عامة ، ليست فى البلاد العربية فحسب ، فقد لمستها ايضا فى ايطاليا ، فما يدعونه (بالكتب الصفراء) تطبع منه مئات الالوف من النسخ وتنفد من الاسواق بسرعة ٠ ولعل الامر كذلك فى غير ايطاليا ايضا ٠

وحظ المؤلف العربى من ريع مؤلفاته ضئيل جدا ، وانما الحظ الاوفر يناله الموزع ثم الناشر ، وعدد النسخ التى تطبع من الكتاب الواحد فى الطبعة الواحدة لا يتجاوز ثلاثة آلاف الى خمسة آلاف نسخة الا فى النادر ، ولعدد محدود جدا من كبار الادباء القصصيين بنوع خاص ، ولا سيما كتاب القصة الجنسية ، فالقراء الذين يقبلون عليها هم فئة الطلاب والطالبات ، لانهم يجدون فيها تنفيسا عما يعانون من الحرمان والكبت فى فورة المراهقة ٠ وقليلة جدا الكتب الادبية التى يقدر لها ان يعاد طبعها فى عام واحد ٠

والخلاصة ان العمل الادبى ليس وسيلة لربح وحياة مادية ميسورة ، ولكنه رسالة تقوم غالبا على التضحية من جانب الاديب العربى المعاصر ، وهو يقبل على هذه التضحية ويعيش لها بحماسة وايمان برسالته ٠

الادب العربي تجاه مشكلتي اللغة والحرف

بعلم : الدكتور ابراهيم مدكور

1 ــ للغة سلطان وقداسة تستمدهما من وحى السماء ، او من اجماع اهل الارض. وقديما قالوا انها توقيفية اوحى بها الله الى عباده ليتفاهموا ويتعارفوا « وعلم آدم الاسماء كلها » . ويزيدها قداسة ان تصبح لغة الطقوس والعبادة ، او ان ينزل بها كتاب سماوى يهبها من قداسته ، ويضفى عليها من هيبته . وليس ثمة شك اليوم فى انها ظاهرة اجتماعية تنشأ فى قلب المجتمع ، وتحيا بحياته . فلها ما للظواهر الاجتماعية من سلطان وحرمة وعزة وكرامة ، وتعد بحق فى مقدمة مشخصات الامم والشعوب .

وقد عولت العربية على هذين المنبعين ، فهى لغة الدين والدنيا ، والعبادة والسياسة . بها نزل القرآن ، وبها حفظ ، ونشأت حوله دراسات لغوية متنوعة . وهناك طقوس دينية لا بد للمسلم ان يستخدم فيها الفاظا وجملا عربية ، كيفما كانت لغته الوطنية . ويوم ان اخذ العرب فى بسط نفوذهم ، اخذت العربية تنتشر معهم ، فكانت تدرس فى اصبهان وشيراز ، كما كانت تدرس فى دمشق وبغداد ، وظهر كتاب وشعراء فى قرطبة والحمراء ، كما ظهروا فى القاهرة والقيروان واضحت اجادة اللغة العربية بابا هاما من ابواب التنافس ووسيلة من وسائل الرقى والسؤدد .

ولقد افادت العربية كثيرا من جانبيها الدينى والاجتماعى . واكتسبت مناعة وقتها حملات الخصوم والاعداء ، وحمتها من جموع التغير والتبديل . وبقيت على الدهر بحيث اصبحت لغة قديمة وحديثة معا ، «انا نحن نزلنا وانا له لحافظون» الا ان هذه القداسة كثيرا ما وقفت فى طريق الاصلاح والتجديد ، واعترضت سبل النمو والتطور . فقيل بالحرام والحلال فى امور تتصل بمتن اللغة واساليبها وكتابتها ورسمها ، كما قيل بهما فى الحكم على اقوال الناس وافعالهم . ومع هذا فالزمن يسير ، ولا بد ان تسير اللغة معه ، وربما كان لدعوى القداسة والحرمة اثر فى التأنى فى التجديد والتروى فى الاصلاح ، مما يربط الحاضر بالماضى ، ويساير التطور دون ظفرة .

2 ــ والادب حياة اللغة ، يساهم فيه المتحدث والكاتب ، الناثر والشاعر ، الخطيب والصحفى ، المذيع والممثل ، الاديب والعالم ، الشعب والخاصة ، فهو جملة الانتاج الادبى فى لغة ما . يتأثر دون نزاع بالاحداث السياسية والظروف

الاقتصادية والاجتماعية ، ويصور الحياة الدينية والاخلاقيــة • يبتلى بالجمود احيانا ، ثم ينشط ويتحرك • ياخذ ويعطي ، فيتغــدى من الاداب الاجنبيــة ويغديها• وهو متنوع، يختلف من عصر الى عصر ومن بيئة الى اخرى فهناك ادب قديم وادب حديث ، ادب ريفي وادب حضري، ادب ديمقراطي وادب ارستقراطي

والاديب الحق مبدع ومبتدر ، بقدر ما هو مقلد ومحاك ، يبتكر الفاظ وأساليب ، كما يبتكر افكارا واخيلة • ينهج نهج القدامى ويحذو حذوهم ، في الوقت الذي ينافس فيه المعاصرين ويحاول ان يجدد مثلهم • وانصار الادب القديم انفسهم لا يرضون ان تنمحي شخصيتهم ، وتفنى اساليبهم فيمن سبقهم • وأعز شيء لدى الاديب حريته ، فيحرص على ان يكون حرا في تفكيره ، يرسل احاسيسه ومشاعره كما تبدو له ، حرا في تعبيره يصوغ معانيه على النحو الذي يروقه • ولا يضيره ان يخرج احيانا على بعض قيود النحو واللغة ، وربما فتح خروجه بابا لنحو ولغة جديدة •

وهكذا كان الادب العربي ولا يزال ، تنوع بتنوع العصور ، وسار بسير الزمن ، علا وهبط ، قوى وضعف • ومن الخطأ ان نقف به عند عصر بعينه ، او ان نقصره على بيئة بذاتها • تأثر بالاداب الاجنبية واثر فيها وكانت له حياة مستقلة وتـاريخ متصل ويربـأ ادباء العرب بانفسهم عن ان يكونوا مجـرد نقلة او محاكين ، ويأبون الا ان ينالوا حظهم من الاصالة والابتكار •

3 ــ الادب مادة اللغة ، منه يستمد متنها ، وعليه يقوم نحوها وصرفها • وقد عني الرواة قديما بجمعه ، كما عنوا بجمع اللغة نفسها • وابلوا في ذلك بلاء حسنا ، وان لم يسلموا من الحشو والخطأ • لا سيما والعرب في جاهليتهم كانوا يعيشون قبائل وجماعات ، لكل قبيلة لهجتها ونطقها ، وظروفها وبيئتها واوضح ما يكون هذا الخلاف بين القبائل العدنانية في الحجاز والقحطانية في اليمن • فكانت تستعمل الكلمة الواحدة في عدة معـان ، او يعبر عـن المعنى الواحد بالفاظ مختلفة باختلاف البيئات ، مما ادى الى تبـاين المعـاني للفظ الواحد ، وكثرة المترادفات ، وتعدد قراءات القـرآن • ومـا ان فتحت الاقطار شرقا وغربا ، وتوطدت الصلة بالثقافات الاجنبية ، وبسطت الحضارة الاسلامية الويتها ، حتى اخذت العربية تغذى بغذاء جديد لم يأنفه العرب ولم يرهبوه • وكانت ثقتهم بانفسهم كفيلة بان ياخذوا الجديـد على صورتـه ، او يؤقلمـوه ويصوغوه نوعا على حسب قواعدهم • واستمروا كذلك حتى جاء عصر الركود فكان الجمود والافلاس والتحريم والتحليل • ويوم ان بزغ عصر النهضة الحديثة استعادت العربية ثقتها بنفسها ، وبدأت تتقبل الالفاظ والتراكيب الجديدة غير هيابة ولا مترددة •

عنى العرب عناية بالغة بجمع لغتهم وتسجيلها ، فتلقفها الرواة من البديه ، واعدوا بذلك المادة الضرورية لوضع المعجم اللغويه · ولا نظن ان لغة ما ـ قديمة او حديثة ـ توفر لها من المعاجم ما توفر للعربيــة · ففى القــرن الثانى للهجرة افتتح الخليل بن احمد عصر المعاجم الكبرى ، ثم تنافس اللغويون والنحاة بعده فى تأليف معاجم مختلفة الحجم والمنهج · ولا يكاد يوجد قرن لم يوضع فيه معجم عربى جديد ، بل ربما وضع فى القرن الواحد اكثر من معجم · ويعد القرن الرابع الهجرى القرن الذهبى للمعاجم ، ففيه ظهر معجم ابن دريد (321 هـ) والازهــرى (370 هـ) ، والصــاحب بــن عبــاد (385 هـ) ، وابــن فــارس (395 هـ) ، والجوهرى (397 هـ) · واذا كن قد فقد بعض المعاجم العربية ، فان اغلبها وصلنا ، ومعظمها منشور ومتداول ، ومن بينها ما ترجم الى لغات اجنبية

ولا شك فى ان هذه المعاجم غزيرة المادة كثيرة المعلومات ، وسيبقى على الدهر معينا لا ينضب لتوضيح غريب الكلمات وغامض النصوص · ولكنها تلتقى فى عيوب مشتركة : من غموض فى الشرح ، وخطا بعض التعاريف ، لا سيما وقد عرضت لمواد تبعد نوعا ما عن اللغة كالتاريخ والجغرافيا والحيوان والنبات ، وقد تغير فيها وجه العلم · وكثيرا مــا كرر بعضهــا بعضا · دون تنقيح او تهذيب ، ويصرح صاحب **لسان العرب** ، اكبر معجم وصلنا ، بانه لم يصنــع شيئا اكثر من انه جمع ما ورد فى **تهذيب** الازهرى ، **وصحاح** الجوهرى ، **ومحكم** ابن سيده ، **وحواشى** ابن برى على **الصحاح** ، **ونهاية** ابن الاثير · وفوق هــذا فمنهج هذه المعاجم ناقص ومعيب · ناقص لانها وقفت باللغة عند حدود زمانية ومكانية ضيقة ، ففقدت كثيرا من معالم الحياة والتطور · فهى توضح العربية فى الجاهلية وصدر الاسلام ، وتكاد تنكر ما عداها ، وبذا لا تمثل عصور اللغة كلها ، بل ولا العصر الذى وضعت فيه · ومنهجهــا معيب ايضا لا تتوفــر فيه شرائط فن المعاجم الحديث منحسن الترتيب ، ووضوح الشرح، ودقة المعنى، والاستعانة بالصور والخرائط واللوحات · ففى الرجوع اليها عناء ومشقة ، وفى عرضها حشو واستطراد ، واصبحت لا تواجه تماما حاجة العصر ومقتضياته ·

ولقد حاول بعض اللغويين منذ اخريات القرن الماضى تدارك هذا النقص ، فوضع البستانى **محيط المحيط** ، والشرتونى **اقرب الموارد** ، والاب لويس معلوف **المنجد** · وهم فيما يبدو متأثرون بالمعاجم الغربية الحديثة ، والمنجد بوجه خاص محاكاة صادقة لمعجم **لاروس الصغير** · وهــو فى الواقع قاموس عملى ، سهــل المأخذ ، غنى بوسائل الايضاح ، ولا ادل على ذلك من انه اعيد طبعه ست مرات فى اقل من عشرين سنة ، وفى الطبعة الاخيرة قسم كبير فى الادب والعلوم ،

على غرار **لاروس** ، الى جانب القسم اللغوي. ولكن هذه المعاجم الحديثة لم تستطع التخلص من قيود الماضي ، ولم تجرؤ على ان تسجل شيئا من لغة القرن العشرين واكتفت بان تلخص المعاجم القديمة في ترتيب احسن ومنهج اقوم .

ويوم ان انشىء مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام 1934 نص في مرسوم انشائه على ان من اهم اغراضه : « ان يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية » وقد اخذ نفسه بذلك منذ البداية . وكان من بين اعضائه المستشرق الالماني فيشر الذي عني بالمعجم العربي منذ اوائل هذا القرن ، ورغب في ان يخرجه على غرار **معجم اكسفورد التاريخي** ، فيصعد الى النصوص لتوضيح معاني الكلمات ، ويتتبع تاريخها وتغير مدلولها . وهي محاولة شاقة ، وشبه متعذرة الآن على الاقل ، لان العربية اطول تاريخا من الانجليزية ، واكثر مصادر ومن بين مصادرها ما فقد او ما لا يزال مخطوطا . ومع هذا بذل فيشر فيها جهودا مضنية وشاء ان يتوجها بان يخرج « معجمه » تحت كنف المجمع اللغوي ورايته ، ولم يتردد المجمع في ان يجيبه الى ما طلب ، وان يمده بوسائل العون المختلفة . الا ان الحرب العالمية الثانية وقفت في طريقه ، ولم نلبث ان فقدناه بعدها بقليل ، وقبل ان يخرج « معجمه » الى النور. ولم يبق من جهود اربعين سنة الا جذاذات غير مكتملة وغير مستوفاة ، ويحتفظ بها المجمع في قاعة خاصة تحت تصرف الباحثين .

اضطلع المجمع الى جانب هذا بوضع « معجم كبير » يستوعب اللغة في مختلف عصورها ، ظهر منه منذ خمس سنوات جزء كبير اريد بـه ان يكون تجربـة يستطيع المتخصصون في اللغة ان يبدوا عليها ملاحظاتهم . ومن اهم ما قرر في مقدمة هذا الجزء ان للغة ماضيا وحاضرا ، فلها ماضيها الموروث ، وحاضرها الحي الناطق ، ولا بد ان يلاحظ ذلك في وضع معجم جديد ، « فيستشهد بالشعر والنثر مهما يكن العصر الذي انشيء فيه ، وتثبت الالفاظ الطارئة التي دعت اليها ضرورات التطور ، وفرضها تقدم الحضارة ورقي العلم » . ولا يزال المجمع يوالي جهوده لاخراج هذا « المعجم الكبير »

عني المجمع ايضا منذ زمن بوضع « معجم وسيط » ، سهل التناول ، ينتفع به طلاب العلم وييسر عليهم تحصيل اللغة ، وتوفر له ما اراد . ويقع هذا المعجم في جزئين ظهر اولهما في اواخر العام الماضي ، والثـاني على وشك **الظهور** ، ويحتوي على نحو 30 الف مادة ، ومليون كلمة ، وستمائة صورة . وقد اخذ بحظ وافر من فن المعاجم الحديث ، فهو محكم التركيب والتبويب ، يسير الشرح

دقيق التعاريف ، يكتفى من الشواهد بما تدعو اليه الضرورة ، فى غير غموض ولا تعقيد • يسجل ما استقر من الفاظ الحياة الدائمة ، والمصطلحات العلمية الشائعة ، ويقر كثيرا من الالفاظ المولدة والمعربة الحديثة ، ويهجر الحوشى والغريب •

فالمعجم العربى فى تجدد وتطور شبيه بتطور المعاجم الغربية ، يأخذ باحدث مبادىء الفن المعجمى ، ييسر اللغة• يراد به ان يضع الفاظ القرن العشرين الى جانب الفاظ الجاهلية وصدر الاسلام ، وان يهدم الحدود الزمانية والمكانية التى اقيمت خطأ بين العصور اللغوية المختلفة وفى هذا ما يثبت ان فى العربية وحدة تضم اطرافها ، وحيوية تستوعب كل ما اتصل بها وتصوغه فى قالبها • وقد بذلت فى ذلك جهود لا باس بها ، وظهرت معاجم مصطلحات الى جانب المعاجم اللغوية ، ولكن لا يزال الامر يتطلب جهودا اخرى وقسطا اوفر من الجرأة والتحرر •

4 ــ اللغة تعبير عن وجدانات وافكار بواسطة اصوات ودوال اقرها المجتمع واخذ بها ، فعناصرها وجدان وعاطفة ، فكر ورأى ، بيئة ومجتمع ، او ان شئت مدلولات ودوال • وكلها متغيرة ومتحركة ، فالوجدانات والعواطف فى نشوء وارتقاء لدى الافراد والجماعات ، والافكار تنمو بنمو العلم والدراسة ، وتتجدد بتجدد الكشف والاختراع • والحياة الجمعية فى تبدل وتغير ، فمن همجية الى آخذة فى التحضر ، ومن نصف متحضرة الى موغلة فى الحضارة المدنية • وكلما اكتملت حضارة امة تعددت مرافقها ، وتنوعت اتجاهاتها ، وكثرت حاجاتها ، واضحى لزاما ان تسايرها فى كل ذلك لغتها ، فتزيد مفرداتها ، وتتنوع تراكيبها ، وتسمو أساليبها ، وتتباين فنون القول فيها •

ولم تصل العربية الى ما وصلت اليه فى عصر المعلقات ، من غزل امرىء القيس ، وحماس مهلهل ، وفخر ابن كلثوم الا بعد ان مرت بادوار ومراحل اعداد وتكوين طويل • ثم جاء الاسلام فهذب حواشيها ، ورقق عباراتها ، وصقل الفاظها ، واستمرت تنمو وتغزر لفظا ومعنى طوال قرون عدة • ولكن الزمن يهدم ما بنى ، فدخلها الغريب والفاسد واخذت تركد ركود المتخاطبين بها • وما ان حل النصف الاخير من القرن الماضى حتى عادت تنشط وتنهض ، وتسلك سبل الحياة فى حماس وقوة •

ووسائل انهاض اللغة وتطويرها كثيرة ، اخصها الوضع اشتقاقا وتجوزا وارتجالا ، اطلاق القياس ليشمل ما قيس من قبل وما لم يقس ، تحرير السماع

من قيود الزمان والمكان ليشمل ما نسمع اليوم من طوائف المجتمع كالحدادين والنجارين والبنائين ، التسليم بالتعريب والاعتداد بالالفاظ المولدة وتسويتها بالالفاظ المأثورة • وقد اخذ قديما بمختلف هذه الوسائل فاستباح العرب الوضع في مختلف صوره ، وقبلوا كلمات اجنبية اضافوا بها ثروة جديدة الى لغتهم فمثلا يستعمل الاعشى كلمة « شاهنشاه » ، والسموءل كلمة « السجنجل » ، وفي الامكان حصر الكلمات المعربة فيما وصلنا من ادب جاهلي • وفي القرآن كلمات معربة كثيرة ، مثل زنجبيل وسلسبيل • اما الاشتقاق والقياس فلم يكن هناك ما يقيدهما ،وكان العربي ينطق على سليقته فكان نطقه حجة • وساعد الفتح والاختلاط على التعريب والاشتقاق معا ، ودفعت اليهما الترجمة وانتشار العلم • وهناك الفاظ عربية او معربة اسلامية لم تعرف في الجاهلية من قبل ، ولم يستنكرها احد او يرفضها • ويوم ان ضاقت العقول بدأ التحليل والتحريم ، فأصبح التعريب ممنوعا ، وحرم الوضع على المتاخرين

ولقد استطاع مجمع اللغة ان يفك كثيرا من هذه القيود ، ويطلق سراح اللغة فقال بالتضمين ، والنقل ، والمجاز ، والتعريب ، واجاز الاشتقاق من اسماء الجواهر والاعيان ، كما اجاز النسبة الى جمع التكسير • وتوسع في المصدر الصناعي ، واقر صيغا للدلالة على الحرف والمرض والصوت • وفتح في اختصار باب الاجتهاد في اللغة ، وكان موصدا من قبل • ولم يقنع بان يسجل ما اقره الادباء والعلماء بل شاء ان يوجه نحو تطوير اللغة والنهوض بها • وكان لتوجيهه اثره ، وتبارى الكتاب في التجديد والابتكار • والواقع ان مستحدثات الحضارة والعلم لا تنقطع ، ولا حياة للغة الا ان واجهتها ، وعرفت كيف تؤديها على وجهها

5 ــ لم تخل الكتابة ــ بدورها ــ من طابع ديني ، فقيل انها من وحي الهي عزاها المصريون الى الاله توت ، واعتقد العبرانيون ان موسى تلقاها عن الله ، وقال بعض مؤرخي العرب انها توقيف من آدم ولا تزال حتى اليوم مرتبطة بالسحر في ارقى الشعوب حضارة • واذا كان للكلمة الملفوظة قوة سحرية ، فالكلمة المكتوبة بها اولى ، ومن ثم كان الكتبة الاول من السحرة • وما ان اختلطت الكتابة بالحياة المدنية وصارت في متناول عامة الناس ، حتى اخذت تتطور بتطور الزمن • قامت اولا على الصور والاشكال ، ثم تحولت الى رموز وحروف وان لم تفقد اعتبارات الرسم والفنون الجميلة • واضحت لغة الى جانب لغة النطق ، ومن بيننا من يتفاهمون اليوم بالكتابة اكثر مما يتفاهمون بالكلام ولا سبيل لتعليم بدون قراءة وكتابة • والصورة الذهنية للكلمة اكثر ارتباطا برسمها منها بنطقها

ومصادره من لبس ، وقد تختلط الاسماء المبنية والمعربة والمصروفة والممنوعة من الصرف • فالتجىء الى الشكل بوضع نقطة فوق للفتحة ، ونقطة اسفل لنكسرة ، ونقطة على شمال الحرف للضمة ، واهمل السكون • ثم تحولت هذه النقط الى حروف صغيرة ، ولوحظ كتابتها بلون غير لون الحروف نفسها • وزيادة فى الضبط وتفرقة للحروف المتشابهة رسما بعضها عن بعض استخدم الاعجام فنقطت الجيم والخاء مثلا واهملت الحاء ، وعلى اساس هذا الاعجام رتبت حروف الهجاء على النحو المالوف اليوم • وعلى هذا عدل الخط العربى وهذب وضبط ، تبعا لحاجات العصر ومقتضياته •

ولا شك فى ان رسم المصحف وضبطه كان الشغل الشاغل ، ولم يحس ابو بكر وعثمان عند جمعهما للقرآن بحاجتهما الى نقط او شكل ، ولكن ما لبث المسلمون ان تبينوا ضرورة ذلك • وكتب القرآن برسم اريد به ان يكون تعبديا وان لم يتفق مع الهجاء وقواعد الاملاء • واصبح اثرا تاريخيا اجتمع لنا به كتابتان : ـ احداهما قرآنية ، والاخرى غير قرآنية • وزاد الامر تعقيدا قواعد رسم الهمزة والالف اللينة التى يلاقى فيها المبتدئون من التلاميذ عنتا شديدا ، بل وغيرهم • وهناك اعلام وكلمات اعجمية معربة تشتمل على اصوات لا وجود لها فى العربية ، وكثيرا ما خلط العرب فى نطقها ، ولعل ابن خلدون من اقدم من تنبهوا الى ذلك وحاولوا معالجته • وفيما عداه لم تلفت هذه الصعاب النظر ، وبقيت الكتابة العربية وكأنها براء من كل عيب ، لها قداسة تحول دون التفكير فى تهذيبها واصلاحها •

6 ـ وفى اخريات القرن الماضى اثيرت صعاب الكتابة العربية ، على غرار ما اثير حول الكتابة الفرنسية والانجليزية فى الغالب ، لا سيما وقد بعدت الشقة بين الدارجة والفصحى بعدا دفع فريقا من الناس الى الدعوة الى العامية والانتصار لها • وفوق هذا فى اصلاح الكتابة استجابة لمقتضيات تعليم الشعب ومحاربة الامية ذلك لان الكتابة لم تعد بعد وقفا على ارستقراطية فكرية او اقتصادية كما كانت فى الماضى ، بل اضحت حقا مقررا للجميع ، وينبغى تيسيرها ما امكن والناس عادة امام الاصلاح فريقان : ـ محافظون يرون ان ليس فى الامكان ابدع مما كان ومجددون يلاحقون سير الزمن • وهؤلاء بدورهم متطرفون يابون الا ان يقطعوا الشوط دفعة واحدة ، او معتدلون يذهبون الى ان طبيعة الاشياء تأبى الطفرة ، ولا بد ان يسير الاصلاح بتدرج وهوادة ، ولقد صادفتنا فى نصف القرن الماضى مشاكل لغوية متعددة ، وفى مقدمتها دون نزاع مشكلة الكتابة التى كانت ولا تزال موضع اخذ ورد •

وقدمت لها حلول شتى تتلخص فى اتجاهين رئيسيين يـرمى احدهمـا الى احلال اللاتينية محل الكتابة العربية ، ويحاول الآخر ان يعد لها على نحو يعالج ما فيها من غموض او لبس • وليس القول بالحروف اللاتينية جديدا ، فقد عرض فى اخريـات القرن المـاضى ، واكد داود الجلبى فى العقد الاول من هذا القرن ، وشجعت عليه تجربة الاتراك وان اختلف وضع لغتهم كثيرا عن العربية وظهر فى هذا العام كتاب « يارى » ، الذى شاء به الاستاذ سعيد عقل ان يطبق الحروف اللاتينية على الكتابة العربية تطبيقا عمليا • ولكن احدا لم يدرس هذا الموضوع دراسة المرحوم عبد العزيز فهمى عضو مجمع اللغة العربية ، وليس فى مكنة كثيرين ان يدافعوا عنه دفاعه ، ومع ذلك لم يحظ بالقبول •

والواقع ان مجمع اللغة العربية عنى منذ ربع قرن بتيسير الكتابة العربية ، واعد جائزة مالية لاحسن اقتراح فيها • ووصلته عشرات الاقتراحات التى قضى زمنا فى بحثها ، ولم يرتض واحدا منها • وفى مقدمة ما عرض عليه مشروع عبد العزيز فهمى ، الذى وقف عليه دورة كاملة من دورات مؤتمره • ودون ان ندخل فى تفاصيلـه ، نكتفى بـأن نشير الى انـه لا يقنع بمجرد ابدال الحـروف اللاتينية بالحروف العربية ، بل يلاحظ ان هناك اصواتا خاصة بالعربية ويحاول ان يؤديها بحروف لاتينية مركبة على نحو ما صنع المستشرقون من قبل • واذا كنا « نفهم لنقرأ » على غير ما ينبغى ، يزعم ان مشروعه ينتهى بنا الى الوضع السليم وهو ان « نقرأ لنفهم » ، وهو بهذا يصوب الى معالجة مشكلتى الكتابة والقراءة معا•ولقد رد عليه داخل المجمع وخارجه ، ومن اهم ما اخذ على اقتراحه انه يقطع الصلة بالماضى ، لمستقبل غير موثوق به • فان الحروف اللاتينيـة لا تتلاءم مع طبيعة العربية بلغة الاعراب والصرف ، هذا الى انها اقل اختزالا من الحروف العربية وتشغل حيزا اكبر ، ونحن نعيش عصر السرعة ، ولها اخيرا صعوبات ، وليس ثمة كتابة تخلو من صعوبات • وما صنعه الاتراك لا يقاس عليه ، لان لغتهم اضيق مجالا واقل استعمالا ، وماضيها لا يذكـر فى شىء بجانب ماضى اللغة العربية ، وليست لها كتابة خاصة بها تحاول العدول عنها• وجاء اخيرا كتاب « يارى » دليلا عمليا على ان التجربة اللاتينية غير ناجحـة ، فانه لا يقرأ ولا يفهم قبل ان يعرب •

اما المقترحات الاخرى فتبقى كلها على الحروف العربية معـدلة رسمهـا ، او مدمجة للشكل كما هو فى جسم الحرف ، او مستعملة حروف العلة بدلا منه •

ولم يكن غريبا ان يرفض كل هذا لانه فضلا عما فيه من تنكير لا يحقق شيئا من التيسير ٠

واستمر المجمع يقلب الامر على وجوهه ، وآثر ان يدع مؤقتا الكتابة اليدوية ويشغل خاصة بحروف الطباعة والآلات الكاتبة ٠ وتبين لـه ان فى الامكان اختصار صور الحروف بتمثيل الحرف بصورة واحدة ما امكن على اختلاف مواقعه من الكلمة ، مـع الاحتفاظ بطبيعة الخط العربى وفنـه وتجنب المباعدة بين القديم والتجديد ٠ ولم يفته ان يعالج صور الهمزة وكتابة الارقام وعلامـات الشكل والترقيم ، وادخل عليها كثيرا من الاختصار والتحسين ٠ وانتهى الى طريقة تهبط بصور الحروف ولواحقها للجمع المشكول شكلا كاملا الى 135 بعد ان كانت تتراوح بين 300 و470 بحسب الجمع الآلى واليدوى ٠

وهذا ولا شك اختصار يوفر كثيرا من الجهد ومن المال ، وبه يصبح صندوق الطباعة العربية قريبا من صندوق الطباعة بالحروف اللاتينية التى يبلغ عددها 115 ٠ وقد طبقت هذه الطريقة بالفعل ، فلم تستنكرها العين ، ولم تخل من الجمال ٠ واساسها خط النسخ المستعمل فى الطباعة ، والمألوف لدى كل من يكتبون بالعـربية ٠

وتيسيرا للقراءة رأى المجمع ان يلتزم الشكل فى كتب مراحل التعليم العام على درجات متفاوتة وفى حدود قواعد واضحة ، وان يوضع فى مكان ثابت من الحرف تألفه العين ولا يختل به توازن السطور ، وان يضع النقط فى موضع ثابت نفيا للاشتباه ٠

وكم دعا المجمع الى تيسير النحو والاملاء ، ووضع فى ذلك مشروعات محددة٠ ونادى من قديم بوضع علامات للدلالة على اصوات الحروف التى لا مقابل لها فى العربية ، وحاول رسم طريقة لكتابة الاعلام الاجنبية ٠ ودعوات كهذه ان لم تستجب اليوم ، فهى آخذة طريقها لا محالة ، ومن يدرى فقد يكون فى تيسير الكتابة المقترح ما يؤدى الى اختصار اعظم ، او ما ينتهى الى كتابة الحروف منفصلة بحيث لا تأخذ الا شكلا واحدا ؟ وهناك اتجاه عام يؤثر التدرج ويأبى الطفرة لان من الخير ان يربط الحاضر بالماضى ٠ وابتكار طريقة جديدة للكتابة ان فرض على شعب بوسيلة ما ، فلا سبيل لتطبيقه على شعوب اخرى لا تقره ٠ ونحن جميعا عبيد الالف والعادة ولا نزاع فى ان الجماعات والافراد تخضع لهمـا اكثر ممـا تخضع للعقل والمنطق ٠

الادب النسوي العربي المعاصر

بقلم الدكتورة عائشة عبد الرحمان
(بنت الشاطىء)

1 ـ جديد ٠٠ وقديم

كانت الفكرة السائدة الى عهد قريب ، ان ظهور المرأة العربية فى الميدان الأدبى ، ظاهرة جديدة من ظواهر الادب العربى المعاصر ، لكن مزيدا من التعمق فى دراسة تأريخنا الادبى ، ومن الاتصال بماضينا ، يؤكد أن نهضة الادب النسوى لا يجوز ان تعتبر جديدة مفاجئة ، وانما هى ، ككل نهضة أخرى، قومية او فكرية او أدبية ، ذات جذور راسخة فى أعماق الماضى ٠

واذا كان التاريخ الواعى ، لا يمكن ان ينظر فى حاضر الأمة العربية ، أو أى أمة سواها ذات ماض عريق ، منعزلا عن ذلك الماضى ، فكذلك الامر بالنسبة الى التاريخ الادبى للمرأة العربية ، الذى هو فى حساب الواقع والحياة ، خيط من نسيج التاريخ العام ٠

وعذر الذين تصوروا ان الادب النسوى ظاهرة جديدة فى الادب ان النشاط الادبى للمرأة العربية طوى وأهمل ، منذ عزلت عن الحياة العامة ابتداء من القرن الثانى الهجرى ، أثرا لظروف عامة واوضاع اجتماعية ، يعرفها المتصلون بتاريخ العرب والاسلام٠فلقد شاءت الظروف ان تبدأ حركة التدوين لهذا التاريخ فى أوائل العصر العباسى ، وهو العصر الذى شهد وأد المرأة العربية معنويا ، وعزلها عن الحياة العامة ٠ فلا عجب ان اغفلها المؤرخون والنقاد ، واسقطوها من حسابهم ، وقد عاشوا فى مجتمع أهدر الاعتراف بالمرأة ، فى الحياة العامة ٠

وهذا يفسر لنا الظاهرة الشاذة فى تاريخ الادب العربى ، أعنى اختفاء المرأة منه ٠ ووجه شذوذها ، أنها تناقض ما تعرف الطبيعة والحياة ، من أصالة الاستعداد الفنى للمرأة ، فطرة وطبيعة ومزاجا ٠ فالوجدانية عنصر جوهرى فى الادب ، لا يكون بغيرها فنا ، وهى كذلك عنصر اصيل فى فطرة حواء ، لا تكون بغيرها انثى ، ومهما يختلف المختلفون على عقلية المرأة ، فأنى لا اتصور ان تكون أصالة الوجدانية فى طبيعتها موضعا لخلاف ٠٠٠

والمرأة العربية ، لم تكن مصابة بعقم الوجدان وشذوذ الفطرة لتختفى من الميدان الادبى الذى هو ميدانها الاصيل ، وانما ابتليت بظلم فادح ، اسقط مكانها فى التاريخ الادبى ، لانه دون فى عصور نبذت المرأة اجتماعيا ٠ وحتم

على من يريد ان يدرس ادب المرأة العربية ، أن يرجع الى التراث الادبى للعرب، كى يجمع ما تبعثر منه من آثار ادبية للمراة ، وينشر المطوى من نشاط فنى لها ، أهدره مؤرخو الادب ونقاده ٠

* * *

وقد عكفت على تلك المهمة منذ سنين ، فبن لى بعد طول البحث والدرس والتنقيب ، ان المرأة العربية لم تكن قط ـ كما يتصور كثير منا خطأ ـ بمعزل عن الحياة الادبية ٠ بحيث أستطيع ان اؤكد ، وأنا أقدر خطر الكلمة وجلال المسؤولية وأمانة العلم ، ان الحياة الادبية للعرب عرفت الاديبة العربية من قديم بعيد ، وظلت تعرفهـا على مسار الزمن ، حتى فى أحلك عصور نبذهـا واسترقاقها ٠ وكان نشاط المرأة الادبى ، يكافىء استعدادها الفنى الاصيل ٠ واذا كانت كتب التاريخ الادبى لم تحتفل بذلك النشاط ، فليس معنى هذا ان الاديبة العربية لم تكن هناك ، وانما معناه ، بشهادة الحق والواقع ، انهؤلاء المؤرخين والنقاد، القوا بالاديبات العربيات فى منطقة الظل، متأثرين بعقلية عصور لم تعترف للمرأة بمكانها فى الحياة العامة ، وبأوضاع مجتمع وأدهـا معنويا وفرض عليها الرق الاجتماعى والعاطفى ٠

2 ـ بـوادر البعث

واكتفى بهـذه اللمحة العاجلة عـن قضية التاريخ الادبى للمرأة العربية ، لأتحدث عن أدبنا النسوى المعاصر ٠ فأقول ان هذا الادب ، قد ساير حركة تحرير المرأة العربية من أغلال الحجاب الذى القى بها لمدى عصور ، ووراء اسوار الجهل والنبذ والتعطل ٠ وهذه ، بدورها ، قد سايرت الحركة القومية خطوة خطوة : بدأت دعوة تحرير المرأة مع دعاء الفجر الجديد للحركة القومية ، فى اخريات القرن التاسع عشر ، وسارت أول الامر وئيدة الخطوات خافتة الصوت، تكتفى بطلب تعليم المرأة على لسان « رفاعة الطهطاوى » والاعتراف بحقوقها الانسانية على لسان « الامام محمد عبده » ثم ارتفع صوتها مع مطلع القـرن العشرين على لسان « قاسم امين » تطالب بتمزيق الحجاب التركى ، واطلاق المرأة من اسوار الحريم ٠ ثم تـوارت الدعوة اعـواما ، مستكنة فى الافئدة والضمائر والعقول ، ابان وطأة الاحتلال الاجنبى الذى جثم على الشرق العربى يكتم انفاسه ٠ فلما بدأ وميض الثورة العربية يلتمع فى الافق ، خرجت المرأة على ضوئه تطالب بحقها فى الوجود الحر الكريم ٠ وحيثما تم لقطر عربى ان يحقق وجوده ، تحررت أنثاه من اغلالها ، وانطلقت فى ميدان الحياة العامة ، واعية عاملة مناضلة ٠ واتجهت ، بكل وعيها وانطلاقها الى المجال الادبى ، مستجيبة

لا في فطرتها ومزاجها من استعداد له أصيل ، ومنفسة عن كبت عاطفي ارهقها قرونا ذات عدد ...

واذا كان الادب النسوى المعاصر ، قدساير حركة تحرير المرأة العربية التي لم تكن في الواقع الا صدى للبعث القومي ، وجزءا من برنامج قادته ورواده فان هذا الادب قد ساير في الوقت نفسه خطوات النهضة الادبية العامة ، وقد كانت كذلك مظهرا للنهضة القومية ، وتعبيرا عنها ، ورائدة لها وأثرا من آثارها .

ومؤرخو الادب العربي ، يرصدون بوادر نهضته في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وهي الفترة التي شهدت كذلك بوادر الادب النسوى المعاصر ، في **عائشة التيمورية** ، (1) شارة الطليعة وقد نظمت الشعر بلغات ثلاث : العربية والتركية والفارسية.ولم ينج شعرها ـ وما كان له ان ينجو ـ من اثر للصنعة والتكلف والزخرف البديعي ، كان لا يزال يغلب على اسلوب عصرها كما لم ينج من احتكام الوضع السياسي لمجتمع تحكمه سلالة أسرة تركية ، أجنبية عن البلاد ، حكما فرديا مستبدا . وهذا يبدو بوضوح في القصائد التي نظمتها لتهنئة الخديوي توفيق ، بأعياده وأفراحه ورحلاته ، وبنجاته من الثورة العرابية التي كان القصر يعدها تمردا على ولي الامر ، وخروجا على طاعته ! (2)

وهبوط شعرها السياسي ، في الميزان الفني النقدي ، يرد الى خروجها على المألوف من طبيعة المرأة ، فقلما عرفنا ، في التراث الأدبي ، للعرب شاعرة ملك ، وقلما شهدها ماضينا واقفة بباب البلاط ، تمدح السلطان . وعذر « عائشة » أنها نشأت في بيت اتصلت أسبابه بالقصر في القاهرة والاستانة، وكان رجاله من كبار حاشية السلطان .

وكذلك يهبط شعرها في (المناسبات) و (المجاملات) (3) .

على انها في شعرها العاطفي والعائلي ، تعبر عن حساسية مرهفة ونفس رقيقة عذبة ، وأسلوبها فيه ، يشهد بشاعرية مواتية ، **ويبشر ببوادر النهضة الادبية الحديثة ويدخل في حساب المؤرخ الادبي ، بارقة واعدة بعصر أدبي جديد .**

(1) ولدت بالقاهرة عام 1840 ، وتوفيت سنة 1902

(2) آنظر قصيدتها في هذه المناسبة : ص 155 من ديوان حلية الطراز

(3) ديوان حلية الطراز ـ ص 153 : 187 ط القاهرة

ومن حيث الوضع الاجتماعي للمرأة ، اكتفت شاعرة الطليعة بالتمرد على الجهل ، وعلى العزلة الادبية • وجازفت — وهي من طبقة ارستقراطية — بان تمارس هواية الادب ، **شعرا** ونثرا ، وقد كانت بيئتها لا ترى لمثلهـا الا ان تمارس هواية امتاع الرجل ومؤانسته ، والاشراف على ادارة البيت •

اما الحجاب ، فلم تتمرد « عائشة » عليه لان عصرها لم يسعفها عـلى هذا التمرد ، ولان رواد تحرير المـرأة العربية في جيلها ، لـم يطالبوا بأكثر من تعليمها والاعتراف بانسانيتها • امـا الحجاب ، فكان في رأيهم مظهر تصون وسمة للحرائر ، وكذلك رأته « عائشة » فتقول في قصيدتها البائية : (1)

بيـد العفـاف **اصون عز حجـابي**	وبعصمتـي اسمـو على أتـرابـي
وبـفـكـرة وقـادة وقـريـحـة	نـقـادة قـد كملت آدابـي
ولقـد نظمت الشعر شيمـة معشر	قبـلي **ذوات الخدر والاحسـاب**
مـا قلتـه الا فكـاهـة نـاطـق	يهـوى بـلاغـة منطـق وكتـاب
مـا ضرني أدبـي وحسـن تعلمي	الا بكـونـي زهـرة الالبـاب
مـا ساءني خـدري وعقد عصابتي	وطـراز ثـوبي واعتـزاز رحـابي
مـا عاقني **حجلي** عـن العليـا ولا	**سـدل الخمـار** بلمتـي ونقـابي

والقصيدة تعد وثيقة أدبية تاريخية بما تسجل من « **وضع اجتماعي** » للمرأة العربية في ذلك العصر ، وموقف شاعرة الطليعة من هذا الوضع ، **فهي لا تضيق** بالحجاب ، وانما حسبها الا يعوقها الحجل — اي القيد — وسدل **الخمار عن العلياء** والا يضرها أدبها وحسن تعلمها ، الا بكونها زهرة الالبـاب !

وفي القصيدة مـا يشهد بان شاعرة الطليعة كانت تعي مـن الماضي الادبي للمرأة العربية ، وتعرف من الادبيات السابقات ، ما يشجعها على اقتحام الميدان الادبي ويغذي طموحها فيه •

ولها في النثر محاولة قصصية في « نتائج الاحوال » ولها ايضا كتاب « مرآة التأمل في الدهور » وقد غلب عليها فيهما أسلوب العصر بمـا يثقله من حشو وتطويل ، ومن زخرف وصنعة بديعية (2) لكنه على اي حال لم يهبط عن أسلوب اعلام المتأدبين من جيلها ، وكان جديدا من « عائشة » ان تحاول كتابة القصة ، ومبلغ علمنا ان التاريخ الادبي للعرب ، لم يع قصة كتبتها اديبة عربية قبلها ، على ما نعرف من استعداد حـواء للفن القصصي (3)

---

(1) — ديوان « حلية الطراز » ص 265 ط القاهرة 1952

(2) و (3) — مي : عائشة تيمور : الفصل السابع ط الهلال

واذا كانت التيمورية قد عالجت نظم الشعر « فكاهة ناطق ، وزينة مخدرة » كما صرحت بذلك فى قصيدتها البائية • واذا كانت قد عالجت الشعر » ملء ساعات الفراغ الطويلة التى لم تكن تستنفدها واجبات المنزل وتبعات المجتمع ونظم الاشعار وفروض العبدة فحسب هذه الشاعرة انها كانت بادرة بعث ، او « البارق فى انظلام » كما تقول أديبتنا « مى »

* * *

وقـد عاصرت التيموريـة ، شاعرة اخرى لمعت فى لبنـان ، وهى « وردة اليازجى » التى تركت لنا ديوانها « حديقة الورود » (1) شعرا عاطفيا رقيقا ، يعبر عن وجدان مرهف •

* * *

ومع بوادر البعث ، ظهرت « زينب فواز » (2) كاتبة من طراز آخر ، لم تكن الكتابة عندها فكاهة ناطق ومشغلة فراغ ، ولا هى اتخذت مـن « نقش المـداد خضابا » ومن « وجنات الطرس » مجالا للزخرف والتطريز ، وانما اتجهت الى ميدان الكتابة ، وهى تدرك انها تؤدى رسالة كبرى •

وزينب قد نشأت فى بيت عربى صريح ، ومن اسرة شعبية صميمة ، وقرأت تاريخ الشرق والغرب ، فراعهـا ان مئات من بنات حواء قد شاركن فى صنعه وتوجيهه ، وهالها فى الوقت نفسه ، ان ترى المرأة فى جيلها ، مخدرة لا تعى ذاتها ولا تدرك حقيقتها هنالك شعرت « زينب » ان عليها واجبا لا يهون التخلى عنه ، فحملت امانـة القلم وادت ضريبة الوعى والمعرفـة ، فجمعت فى كتابها « الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور » • تراجم موجزة لمن عرفت مـن نساء الشرق والغرب ، المشهورات منهن والمغمورات فى مختلف العصور •

واودعت هذا الكتاب فى المكتبة العربية ، تراثا لجيلنا ، يهيب بالواعيات منا ان يحملن الامانة التى حملتها « زينب فواز » فى عصر الحريم ، وان يكملن ما بـدأت مـن نشر المطوى من تـاريخ للمرأة ، القتـه عصور استعبـادهـا فى منطقة الظل •

---

(1) ــ طبع لاول مرة فى بيروت عام 1867 ــ وكان عمر الشاعرة اذ ذاك تسعا وثلاثين سنـة •

(2) ــ ولدت فى الشام (صيدا) سنة 1860 وعاشت بمصر •

د ــ رائدات النهضة الادبية

وقد شهدت الاعوام الاخيرة من القرن الماضي ، ظهور رائد البعث الادبي « محمود سامي البارودي » مجدد الشعر العربي · ومع البارودي، ظهرت اديبة عربية رائدة للادب النسوي المعاصر ، ومعلنه عن مشرق فجره الجديد الصادق ومؤكدة ان الادب ــ النسوي لم يختلف عن الادب العام في تلك الوثبة الباهرة ·

تلك هي « مي » (I) الاديبة الاولى لعصرنا ، والتي فرضت الاديبة العربية على المجتمع الادبي ، ومضت في الحياة الادبية مصعدة الى القمة الشماء ، وكان منتداها الادبي ملتقى الصفوة من اعلام العصر وائمة البيان ···

وقد احتفل الذين كتبوا عن « مي » بنادبها هذا ، غير اني لا التفت اليه ، بقدر ما التفت الى الاثرين الهامين اللذين احدثتهما « مي » في الادب العربي :

الاول : انها قدمت اليه الاداء **الفني** للفكرة الناضجة والثقافة الرفيعة ، والادب الى زمنها ، كان في عزلة عن الفكر ، ولعله ما يزال فينا حتى اليوم ، من يقصر المجال الادبي على العواطف لا الافكار ، ومن يزعم ان للفكر لغة غير لغة الادب : موضوعية التناول ، تقريرية الاحكام · ولكن « مي » منذ اكثر من نصف قرن ، اثرت الادب العربي بآثارها التي تحمل كل خصبها الفكري ونضجها العقلي ووعيها الثقافي ، مؤداة باسلوب ادبي رفيع ، لا تخطىء فيه وجدانية التناول وشاعرية الالفاظ وفنية التعبير ·

واعرف ان تراثنا الادبي ، يعتز بعـدد من مثـل تلك الآثار ، التي تجمع بين نضج الفكرة وفنية الاداء ، لكن عصور الانحطاط الادبي ، باعدت بيننا وبين تلك الآثار الرائعة وصيرت الادب صنعة لفظية وزخرفا من القول ، منكرة عليه ان يقتحم حرم الفكرة والذي يقرأ ادب « مي » مقيسا الى ادب جيلها والذي قبله مباشرة ، يبهره منها هذا الثراء الفكري ، مع شاعرية الاسلوب ·

اما الاثر الثاني ، مما قدمته « مي » الى ادبنا المعاصر ، **فهو التقاء التيارات الثقافية من شرق وغرب ، في ادب عربي مبين** · و « مي » قـد اتصلت بالفكر العالمي اوثق اتصال ، وقرأت الاداب الغربية ، بمختلف لغاتهـا ، حيث كانت تجيد منها سبع لغات · واستطاعت مع ذلك ان تعطينـا ادبهـا ، عربي الروح

(I) ــ ولدت في مدينة الناصرة بفلسطين حوالي سنة 1885 ، وعاشت احفل حياتها الادبية بمصر ، وتوفيت فيها سنة 1941

والبيان ، شرقى الملامح والسمات • ولم يزدها اتصالها بالاداب الغربية الا اعتزازا بعروبتها وحفاظا على شرقيتها ، فكأن هذا سر اصالتها التى لم يمسخها التقليد والتغرب ، على نحو ما يفعل كثير من ادباء العصر ، يكتبون العربية باسلوب غربى ، ويقدمون لنا آثارهم فى ثوب مهلهل ، عربى الشكل ، اجنبى المادة والنسيج !

* * *

ومع « مى » ظهرت اديبة اخرى ، مصرية صميمة ، لم يتح لها ما اتيح لمى من غذاء ثقافى عالمى ، ولم تحدث فى الادب العربى مثل ما احدثته « مى » ، لكنها اتجهت الى ميدان آخر ، بحكم ظروفها الخاصة • اعنى « باحثة البادية » : تلك «حفنى ناصف» (1) التى خاضت بقلمها معركة تحرير المرأة ، وشغلت عن الادب المحض ، بقضية المرأة العربية ، تدافع عن حقها فى الحياة ، وتطالب بتحريرها من اغلال الرق والوأد • وقد عانت « ملك » نفسها من هذه الاغلال ما عانت ، وعاشت فى ظل « الحريم » ببادية الفيوم ، مهدرة المشاعر مكبوتة العاطفة ، وارهقها تجربة تعدد الزوجات ، واذلها عقم ــ لم يكن لها فيه ذنب ــ فى بيئة مفتونة بالانجاب ، يرتهن فيها حق المرأة فى الحياة بالامومة ! وظهرت مقالات « باحثة البادية » فى الجريدة ، الى جانب مقالات أئمة الكتاب فى عصرها ، تهدر بالغضب للمرأة ، وتعرض مأساة وضعها الاجتماعى باسلوب يستمد قوته من عمق المعاناة وصدق التجربة ، واصالة بيانه العربى •

4 ــ اتجاهات الادب النسوى المعاصر وسماته المميزة

ومع النهضة القومية العامة التى ردت الى المرأة العربية اعتبارها المهدر ، سار الادب النسوى منطلقا فى تيار النهضة الادبية العامة ، وقد تشعب الطريق امام الاديبة العربية ، بين الابداع الفنى على اثر « مى » بعد التيمورية واليازجية ، وبين الادب الاجتماعى والقومى على اثر « باحثة البادية » بعد « زينب فواز »

على ان عاملا جديدا طرأ على حياة المرأة العربية ، اتجه بها كذلك الى شعبة ثالثة ، وهى « الدراسات الادبية » التى كان لا بد للاديبة العربية من المشاركة فيها لتثبت وجودها العلمى ، بعد ان عبرت الطريق الطويل ما بين متاهة الامية وابهاء الجامعة • وهو مجال اعفيت منه اديبات الطليعة ، ورائدات النهضة الادبية ، ولم تعف منه اديبات هذا الجيل ، وفيهن من وصلت الى منصب الاستاذية

(1) ــ ولدت بالقاهرة عام 1886 وماتت فى ريعان شبابها عام 1918

فى جامعات القاهرة والاسكندرية وبغداد وبيروت • واخريات عددهن غير قليل يحملن درجات جامعية فى الدراسات الادبية والتاريخية وقد توزعن فى شتى ميادين الادب والصحافة بحيث يدعم مراكزهن فيها ما يقمن بــه مــن دراسات ادبيـــة •

* * *

والسمة الغالبة على ادبنا النسوى المعاصر ، تختلف باختلاف الاتجاهات التى تشعب اليها طريقهن فى الحياة الادبية • •

ففى المجال الادبى الصرف ، تتجه الاديبة العربية الى الشعر والقصة ، حيث يغلب عنيها فيهما ، التعبيرعنمشاعرالانوثة وعواطفها وهمومها•والاديبة العربية لا تستجيب فى هذا الى طبيعتها فحسب ، ولكن تريد ان تعبر عن ذاتها بعد ان استأثر الادباء الرجال طويلا بالتعبير عنها ، وترجموا لنا اشواقها ، وتولوا الحديث عن تجربتها العاطفية التى هى جوهر وجودها وقوام انوثتها وسر حياتها

لم تتكلم خولة وعبلة ، وهند والثريا ، وليلى ولبنى ، وبثينة وعزة ، وميــة وعفراء وفوز واسماء ، وانما تكلم عنهن امرؤ القيس وابن ابى ربيعة ، وجميل وكثير والاحنف ، وامثال لهم ممن نطقوا بالسنة الحبيبات ونقلوا الينا وجيب قلوبهن وحديث مشاعرهن •

وكان اثرا حتميا لوأد المرأة العاطفى ، ان حدد نقاد العصر العباسى مجالها الفنى بالرثاء وحده ، ولــم يحتفلوا بغير المراثى من الآثار الادبية للمــراة • وبتحرير المرأة العربية بعد قرون من استعبادها ، آن لها ان تتحدث عن ذاتها اصالة ، وان ترسم بقلمها صورة الانثى كما تراها فى كيانها وتجدها فى ذاتها وتفهمها بفطرتها •

١ ـ الشعــــر :

ولاذت بالشعر تعبر به عن مطوى اشواقها واسرار ذاتها ومكنون عواطفها ، وقد مهدت « ام نزار الملائكة : سلمى بنت عبد الرزاق الكاظمية » لظهور عدد من شاعرات العراق ، ترنمن باناشيد وجدان حواء المرهف ، وحسها المشبوب واولى هؤلاء الشاعرات ، ابنتها « نازك الملائكة » قمة الشعر النسوى المعاصر ، التى استطاعت ان تنتزع للاديبة العربية مكانا مرموقا بين اعلام شعراء الجيل وان تفرض على ادبنا الحديث ، الاعتراف بالاديبة العربية شاعرة من الطراز الاول

واذا كان الادب العربى يدين لنازك ، بما نفت عن حواء العرب من لعنة جمود الحس وعقم الوجدان وشلل العاطفة وخواء القلب ، وبما قدمت اليه من صورة

مفتقدة تلاشى، بكل اصالتها، فانه تدين لها كذلك بما حققت له من تطور حاسم لم تكن امانينا تجرؤ على التطلع اليه ، بعد ان انقله ركام من شعر المدائح والمناسبات ، ومن قصائد ترسم ظواهر الاشياء وتنقل صور الجمال ، وبعد ان غبر النقاد ازمانا ، يقيسون شاعرية الشاعر بقدر ما يطول فى قصائده ، وبما يختار لها من عراض البحور وفخم الاوزان ٠٠٠

وجاءت « نازك » فنقلت الشعر العربى من حدود الشكل والصورة الى الصميم والجوهر وجاوزت به أبعاد الطول والعرض ، الى العمق الموغل فى عوالم النفس ومجالى الروح وآفاق الوجدان على نحو يشهد باقتدار شعرنا على اداء مثل تلك الاسرار المستكنة فى طوايا الذات ومسارب النفس ، والمعانى الرمزية الوجدانية التى تفوت المصطلح المعجمى والدلالة الشائعة ٠

ومع « نازك » ظهرت فى العراق الشاعرات « رباب الكاظمى وعاتكة الخزرجى وفطينة النائب » ورباب تمثل المذهب التقليدى فى الادب النسوى ، بحكم تلمذتها على ابيها الشاعر « عبد المحسن الكاظمى » وفطينة تعلن فى شعرها ثورة المرأة الجديدة على مالا يزال يثقلها من رواسب الكبت وبقايا القيود ، وترفع صيحة التمرد على الاغلال ، فى ديوانيها « رنين القيود ، ولهيب الروح » على حين تميل « عاتكة » الى القصة الشعرية ، وتعيد فى مسامر بغداد الادبية ، ذكريات ليالى شهرزاد ٠

ومن فلسطين ، خرجت « فدوى طوقان » شاعرة موهوبة متفوقة ، لا تخطىء فى شعرها العاطفى ، شذى عطر حواء ، وروح انثى الشرق بكل سرها وسحرها ٠ على انها من ناحية اخرى ، تقدم لنا فى دواوينها الثلاثة ، الوقع الادبى لنكبة فلسطين على وجدان شاعرة وديوانها الاول : وحدى مع الايام يصور وطأة النكبة ، على حس فتاة تنتزع من دنيا صباها ومراتع طفولتها ومراح انسها ، لتجد نفسها غريبة بلا وطن ٠ وفى ديوانها الثانى « وجدتها » يلوح سراب الوهم فى لحظة من غفوة اليأس وخداع الامانى وحذر الحلم ٠ اما ثالث دواوينها « اعطنا حبا » فنشيد الحيرة والقلق والضياع ، لهذا الجيل من شباب فلسطين ٠

وكذلك سلمى الخضراء الجيوسى (النبع الحالم)

* * *

وفى الافق الادبى غير هؤلاء ، عدد من الشاعرات العربيات ، ينظمن الشعر

العاطفى ويلقين القصائد فى المناسبات القوميه ، وقد ذكرت اسماءهن — فى القائمة الملحقة بهذا — امام المطبوع لهن من دواوين ..

ومعهن شاعرتـان سوريتـان ، تنظمان الشعر بالفرنسية :

كوليت سهيل — وقد نشرت ديوانين : Fraiseur - VINGT ANS

وسلمى الحفار الكزبرى — ولها ديوان : LA ROSE SOLITAIRE
مطبوع فى سان باولو .

ب — القصـــة :

وتبرز فى ميدان القصة ، الاديبة الفلسطينية « سميرة عزام » كاتبة بارعة للقصة القصيرة . وتستطيع بمجموعاتها « اشياء صغيرة — الظل الكبير — ... وقصص أخرى » ان تشهد بأصالة الانثى وتفوقها فى هذا المجال. واكثر نماذجها القصصية ، من واقع الحياة ودنيا الناس ، لكن دون ان تخطئهافنية التنـاول والاداء .

كما تبرز « كوليت سهيل خورى — دمشق » كاتبة للقصة الطويلة ، تمارسها فى براعة واقتدار . وقد استطاعت على حداثة عهدهـا بالميـدان الادبى — ان تشغل النقاد بقصتها « أيام معه ، وليلة واحدة » وموضوع الاولى ، تمرد حواء الشرق على كل كبت اجتمـاعى او عاطفى ، وموضوع الثانيـة ، مأساة زواج بغير حب !

وسميرة وكوليت ، تمثـلان اتجـاهين مختلفين فى قصص الاديبة العربية المعاصرة . الاتجاه الاول ، واقعى هادف ، يتولى الرصد الادبى لحركة الانتقال العنيفة التى عبرتها المرأة العربية فى هذا الجيل ، ما بين اسوار الحريم وآفاق الحرية . وهى حركة لم يلتفت اليها الادباء ، والتفتت اليها اديبات منا ، ورحن يرقبن — فى انفعال ومشاركة — خطوات جيل الانتقال ، ويرسمن صور ضحاياه ممن تعثرن على الصراط ، واعشى عيونهن الضوء الوهاج ، اثر انطلاقهن من الخدر المظلم . ويعد هذا الصنف من القصص النسوى الحديث ، تراثا هاما فى الادب المعاصر ، اذ يسجل الوقع الادبى لثورة اجتماعية لم يشهد تاريخ المرأة الشرقية ما يماثلها عنفا وسرعا وبعد اثر .

ولنا من الرصيد الادبى فى هذا المجال :

الظل الكبير : لسميرة عزام
والجامحة : لامينة السعيد
ويوميات هالة : لسلمى الحفار الكزبرى
وصور من حياتهن : لبنت الشاطىء

والى جانب الرصيد الادبى لحركة الانتقال، مجموعة اخرى من القصص الواقعية، تعرض نماذج نسوية رسمتها اديبات عربيات ، يجدن فى ذواتهن فطرة حواء ومزاجها ومن رصيدنا الادبى فى هذا المجال :

قصص شامية : لالفت الادلبى
تعلمت الحب : لنوال السعداوى
الخاطئة : لبنت الشاطىء

* * *

اما الاتجاه الثانى الذى تمثله « كوليت سهيل » فيصور التحرر العاطفى لحواء الشرق العربى اثر كبت طويل مرهق · ويشبه ان يكون صيحة احتجاج على ما عانت امهاتنا من ضغط وقهر ، او محاولة تكفير عما آدهن من استرقاق وحرمان

وممن تميل الى هذا الاتجاه ، صوفى عبد الله وجاذبية صدقى (مصر) وهند سلامة (لبنان) ·

* * *

ج ـ الادب الاجتماعى :

وعلى الدرب الذى ارتادته « باحثة البادية » فى النسائيات ، ظهرت اديبات معاصرات يعالجن القضايا الاجتماعية والقومية ، فى مستوى عال ، هيأ لهن مكانا فى القيادة الفكرية العامة ·

واكثر هؤلاء ، يمارسن هذا العمل الادبى فى الصحف والمجلات والاذاعة ، ومنهن من تعالج هذه القضايا فى كتب مطبوعة ·

وفى الصف الاول من الكاتبات الاجتماعيات ، تأتى امينة السعيد ، الصحافية العربية اللامعة · وهى ترأس تحرير مجلة حواء ، وتشغل مركزا ادبيا رفيعا فى الصحافة العربية ،

وبنت الشاطىء التى تولت الدفاع عن قضية الفلاح فى مقالات تتابعت على

صفحات الاهرام لمدى سنين ، ثم فى كتابيها « الريف المصرى ٠٠ وقضية الفلاح » وقصتها « سيد العزبة » التى تصور بشاعة الافطاع اللئيم ، فى مأساة امرأة خـاطئـة ٠

ولمعت سهير القلمـاوى ، وودا‌د سكاكينى ، فى الاحاديث الاذاعية ٠

وقضايا المرأة ، هى الموضوع المفضل للكاتبات العربيات المعاصرات ٠ ومثلها القضايا القومية التى تستأثر باهتمامهن ، ويعبرن فيها عن الرأى العام ، لهذا الجيل الواعى المستنير من نساء العرب ٠

ويتميز ادبنا فى هذا المجال ، بعمق المعاناة وحماسة الانفعال وعـاطفيـة التناول ، مما يوفر له الصفة الادبية ٠

* * *

ولم أشر الى الدور الجليل الذى كـان للمرأة العربيـة فى نهضة الصحافة المعاصرة وقد بلغ عدد المجلات النسوية التى اسستها السيدات او شاركن فى تحريرها ، نحو خمسين مجلة ، بالوطن العربى ومهـاجر العرب فى اميركا ٠ وذلك لعلمى ان مثل هذا الموضوع جدير بأن يستقل ببحث خاص مفرد ٠٠

د ــ الدراسات الادبية :

قلت ان الاديبة العربية ، احتاجت الى اثبات وجودها فى المجال العلمى ، بعد ان وصلت الى ارقى الدرجات الجامعية ، بشغلها منصب الاستاذية ٠

وقد بدأت الاديبة العربية اول ما بدأت ، تدخل الميدان من اصعب ابوابه ، كى تحقق وجودها الجامعى ، فاشتغلت سهير القلماوى ــ استاذة الادب بجامعة القاهرة ــ بأدب الخوارج والف ليلة وليلة ، وتخصصت عائشة عبد الرحمن : بنت الشاطىء ــ استاذة الادب بجامعـة عين شمس ــ فى النصوص الادبية ، فحققت رسالة الغفران لابى العلاء ، ومعجم المحكم لابن سيده ، ثم اختارت النص القرآنى الكريم ، موضوعا لمحاضراتها فى الدراسات العليا بالجامعـة ، تفسره تفسيرا بيانيا يهدى الى اسرار اعجازه البلاغى ٠ ونشرت عاتكة الخزرجى ــ بجامعة بغداد ــ نصا محققا لديوان العباس بن الاحنف ٠

ثم ، ما أن اطمأنت الاديبة العربية المعاصرة ، الى مركزها العلمى فى الجامعة ، حتى استجابت فى دراستها الادبية لطبيعتها وفطرتها ، فعكفت على التراث التاريخى والادبى للعرب ، تستخلص منه المطوى من آثار المرأة العربية ، وقدمت

الى المكتبة العربية رصيدا قيما من التراجم النسوية الامينة ، اهم قيمة لها انها ملأت فراغا كنا نشكوه فى مكتبتنـا ، وصححت فهم هذا الجيل لمكان المرأة فى التاريخ الفكرى والادبى للعرب ، وقدمت المادة التاريخيـة بـروح الانصاف والعطف ، وتمثلت الشخصيات النسوية ، فى فهم ووعى ٠

ولم اشر الى دراسات ادبية لكاتبات عربيات ، فى اللغات الاجنبية ، كما لم اشر الى نشاط الاديبة العربية المعاصرة فى حركة الترجمة ، مما لا يدخل فى صميم موضوعنا « الادب النسوى العربى المعاصر »

واذا كان لى ان احدد سمة خاصة ، يتميز بها ادبنا النسوى المعاصر بوجه عام ، فتلك هى عاطفية التناول ٠

والمألوف عندنا ، ان اكثر الذين يعالجون القضايا الاجتماعية والقومية ، او يشتغلون بالمسائل الفكريـة ، يؤدونها اداء موضوعيـا جافا ، يقوم على السرد التقريرى ، والتصوير الآلى لامراض المجتمع ، على حين لا تستطيع الكاتبة العربية مهما يكن الموضوع الذى تعالجه ، ان تتخلص من عاطفية الانفعال ووجـدانيـة التناول ، وهذا ما يجعل مشاركتها فى الادب والمجتمع ـ ضمانا لتوفر العنصر الوجدانى الذى هو جوهر اصالة الادب ، ومناط تأثيره ٠٠

* * *

واذيل هذا التقرير ، بقائمة لما اعرف ، فى مكتبة الادب العربى المعاصر من مؤلفات نسوية ، جمعتهـا قدر اجتهادى مع الاعتذار عما يكون قد فاتنى ، عن سهو او قصور ٠

٥ ـ الشعـــر

حلية الطراز : عائشة التيمورية ، مصر ـ حديقة الورود : وردة اليازجى ، الشام ـ ازاهير حلم : مى ، (مترجم عن الفرنسية) ـ عاشقة الليل : نـازك الملائكة ، (العراق) ـ شظايا ورماد : نازك الملائكة ، (العراق) ـ قرارة الموجة : نازك الملائكة ، (العراق) ـ رنين القيود : فطينة النائب ، (العراق) ـ لهيب الروح : فطينة النائب ، (العراق) ـ وحدى مع الايام : فدوى طوقان ، (فلسطين) ـ وجـدتهـا : فدوى طوقـان ، (فلسطين) ـ اعطنـا حبـا : فدوى طوقـان ، (فلسطين) ـ ديوان : سلمى الخضراء الجيوسى ، (فلسطين) ـ اغانى الصبا : ملك عبد العزيز ، (مصر) ـ صدى احلامى : جميلة العلايلى ، انشودة الربيع :

صفية ابو شادى ، (مصر) ــ اللحن الباكى : جليلة رضا ، (مصر) ــ اللحن الثائر : جليلة رضا ، (مصر) ــ همسة الروح : روحية القلينى ، (مصر) ــ امواج : هند سلامة ، (لبنان) ــ لمع : هند سلامة ، (لبنان)

ــ النثر الادبى ــ

سوانح فتاة : مى ، ط القاهرة 1922 ــ الصحائف : مى ، ط القاهرة 1924 ــ رسائل مى : مى ، ط بيروت ــ ظلمات وأشعة : مى ، ط بيروت ــ كلمات واشارت : مى ، ط بيروت ــ بين المد والجزر : مى ط بيروت ــ ارض المعجزات: بنت الشاطىء ، (الدكتورة عائشة عبد الرحمن) ــ ليال ملاح : مليحة اسحيق ، (العراق) ــ رائعة : مليحة اسحيق ، (العراق)

ــ القصص ــ

نتائج الاحوال فى الاقوال والافعال : عائشة تيمور ، ط القاهرة 1887 ــ اشياء صغيرة : سميرة عزام ، فلسطين ــ الظل الكبير : سميرة عزام ، فلسطين ــ .... وقصص آخرى : سميرة عزام ، فلسطين ــ ايام معه : كوليت سهيل، سوريا ــ ليلة واحدة : كوليت سهيل ، سوريا ــ قصص شامية : الفة الادلبى ، سوريا ــ يوميات هالة : سلمى الحفار الكزبرى ، سوريا ــ الجامحة : امينة السعيد ، مصر ــ آخر الطريق :امينة السعيد ، مصر ــ رجعة فرعون : بنت الشاطىء ، مصر ــ سر الشاطىء : بنت الشاطىء ، مصر ــ سيد العزبة : بنت الشاطىء ، مصر ــ الخاطئة : بنت الشاطىء ، مصر ــ صور من حياتهن : بنت الشاطىء ، مصر ــ الباب المفتوح : لطيفة الزيات ، مصر ــ لعنة الجسد : صوفى عبد الله ، مصر ــ بقايا رجل : صوفى عبد الله ، مصر ــ عاصفة فى قلب : صوفى عبد الله ، مصر ــ مجموعات قصصية : جاذبية صدقى ، مصر ــ تعلمت الحب : نوال السعداوى ، مصر ــ انطلاق سميحة : فيكتوريا نجيب ، مصر ــ الحان ضائعة : هند سلامة ، لبنان ــ نسائيات وخمريات فى التوراة : هند سلامة ، لبنان ــ زلة الجسد : هند سلامة ، لبنان ــ أنا أحيا : ليلى بعلبكى ، لبنان ــ الآلهة الممسوخة : ليلى بعلبكى ، لبنان

ــ تراجم ودراسات ادبية ــ

الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور : زينب فواز ــ باحثة البادية : مى ، ط القاهرة ــ عائشة تيمور : مى ، ط القاهرة ــ ديوان العباس أحنف (تحقيق) : عائكة الجزرجى ، مصر ــ الف ليلة وليلة : عائكة الجزرجى ، مصر ــ فى النقد الادبى : عائكة الجزرجى ، مصر ــ المحاكاة : عائكة الجزرجى ، مصر ــ الحياة

الانسانية عند ابى العـلاء : بنت الشاطىء ، ط دار المعـارف ـ رسالة الغفران (نص محقق) : بنت الشاطىء ، ط دار المعارف ـ الغفران : بنت الشاطىء ط دار المعارف ـ المحكم لابن سيدة (معجم محقق) بنت الشاطىء ، ط دار الحلبى ـ قيم جديدة للادب العربى: بنت الشاطىء، ط دار المعرفة ـ التفسير البيانى للقرآن الكريم : بنت الشاطىء ، ط دار المعـارف ـ الخنساء : بنت الشاطىء ، ط دار الهلال ـ سكينة بنت حسين : بنت الشاطىء ، ط دار الهلال ـ بطلة كربلاء : بنت الشاطىء ، ط دار الهلال وبيروت ـ ام النبى : بنت الشاطىء ، ط دار الهلال وبيروت ـ نساء النبى : بنت الشاطىء ، ط دار الهلال وبيروت ـ بنات النبى : بنت الشاطىء ، ط دار الهـلال ـ ست الملك الفـاطميـة : سنيـة قراعة ، مصر ـ رابعة العدوية : سنية قراعة ، مصر ـ ام الملوك : سنية قراعة ، مصر ـ نساء محاربات : صوفى عبد الله ، مصر ـ مساجد ودول : سنية قراعة ، مصر ـ نفرتيتى : سنية قراعـة ، مصر ـ ادب المازنى : نعمات احمد فـؤاد ، مصر ـ شاعر وشعب : نعمات احمد فؤاد ، مصر ـ شاعر الهوى والشباب : نعمات احمد فؤاد ، مصر ـ ام كلثوم : نعمات احمد فؤاد ، مصر ـ خديجة ام المؤمنين : بثينة توفيق ، مصر ـ رابعة العدوية : وداد سكاكيني ، سوريـا ـ امهات المؤمنين واخوات الشهداء : وداد سكاكيني ، سوريا ـ نساء متفوقات : سلمى الحفار الكزبرى ، سوريا ـ عائشة ام المؤمنين : زاهية قدورة ، لبنان ـ النقد الجمالى ، واثره فى النقد العربى : روز غريب ، لبنان

ـ فى الادب الاجتمـاعـى ـ

الرسالة الزينبية : زينب فـواز ـ المساواة : مى ـ النسائيـات : باحثة الباديـة ـ احاديث جـدتى : سهير قلمـاوى ، مصر ـ الريف المصرى : بنت الشاطىء ، مصر ـ قضية الفلاح : بنت الشاطىء ، مصر ـ مذاكرات فتاة عربية : سميرة ابو غزالة ، مصر ـ صرخة فلاح : هند سلامة ، لبنان

الادب العربي بين التقليد والتجديد

مـوقف الادبـاء العـرب

بقلم : محيى الـدين محمد

لست اعرف وطنا يمكن ان يصبح الماضي بالنسبة اليه مشكلة وحنينا ، اكثر من وطننا العربى ٠

وكذلك لست اعـرف اديبا فاقدا للصلة بينه وبين حاضره اكثر من الاديب العربى الحديث ٠ واذا كان سبب ذلك موقفا حضاريا يعانيه الوطن العربى جميعا او ازمـة خلخلت بين جيـل قديم ومهتـرىء وجيل حـديث يتنـادى بالتغير والتطور ٠٠٠ أو مرضا نفسيا اسمه « فقدان الثقـة » ، اذا كان سبب منهـا صحيحا ، او كانت كلها صحيحة او خاطئة ، فان نظرة فاحصة للفكر العربى الحديث يمكنها ان تشعر بانفصام محزن بين الحياة التى يعيشها الاديب العربى الشاب ، وبين ما يمكن ان نسميه « جذوره الثقافية » ، وذلك لان هذه النظرة سوف تكشف للوهلة الاولى انه ما زال هناك ادب تقليدى يكتبه شعراء قدامى الروح ، ويقرؤه ويتنفسه جيل ما زال فاقد الانتماء والاتجاه ، وفى نفس الوقت يجد الملاحظ ان هناك شعرا مكتوبا على الطريقة الاوروبية الحديثة ، وبالمناهج نفسها ، اى ان هناك تيارا سيرياليا وآخر رمزيا وثالثا يستمـد غناه مـن الانثويولوجيا الحضارية فى الغرب والشرق ٠ هذا الترجح العنيف بين الحنين الى الماضى ، واكتشاف عطالته ، ليس ترجحا قيميا تفرضه حرية اختيار الكاتب او الشاعر ، اكثر مما هو ترجح قلق بين طبقات المفكرين ، سببها افتقاد الركيزة المقنعة التى يتم عليها بناء الفكر العربى الحديث ٠ وبهذه الصورة فقط اصبح الماضى بالنسبة الينا مشكلة وحنينا ٠

يمكننا ان نتصور الفارق بين الحضارة الاوروبية الحديثة ، والحضارة العربية اذا تخيلنا حضارة الغرب على شكل هرم قاعدته الى أسفل ، وقمته آخذة فى النمو بدون توقف لان النظام الهندسى الذى بنى به هذا الهرم يتيح له ان ينمو فالحضارة الغربية قاعدتها فسيحة وعميقة الاصول ، واعنى بها الثقافة الهيلينية القديمة ، والتى وضعت اصولا فكرية هامة لكل انواع النمـو المحتمل ، مـن المسيحية الى العلم الحديث ، من الحاجة العميقة للتطهر الى الحاجة الميكانيكية للعيش ٠ اما الحضارة العربية فهى قائمة على اسطوانات وكرات واشباه منحرف

تكون العلم الحديث مرة والتقاليد العربية مرة والفلسفة الاوروبية مرة والفهم العربى للفن مرة والفن الاوروبى مرة ٠٠ وهكذا ٠٠ وهى كلها مهددة بالسقوط لان قاعدتها لم تهيأ اصلا للنمو الطبيعى المنسجم ، وقد زادت كل هذه الملصقات المضافة من العبء الواقع على القاعدة ، وقربت يوم انهيار هذا الشكل العجيب المتلاحم بالصدفة ، فان العقل العربى يتفحص الآن تاريخه ومستقبله ، أمراضه وامنياته على ضوء هذا الانبعاث العارم الذى يحياه جزء قيادى منه ٠

الاصل فى التطور الحضارى ان يكون العقل مخدوما وخادما للحياة ، ان يكون اشعاعه صادرا من قيمه كالعلم تثق فى احكامه وترتبط به وتخضـع لـه ٠٠ قيمة عليا بامكانها تهدى العقل الى اشد اسرار الكون اظلاما وتابيا على النطق وقد اكتشف الغرب العلم ، والشرق فاغرا فمه بازاء المفاجأة ٠٠ وقد تردد بين ان يحتال على هذا الشىء الجديد ليدخله فى حياته ، وبين ان ينحى عن نظره ويقنـع بماضيه ٠

وقد كان للعرب علمهم القديم ، بيد ان ذلك يحكيه التاريخ وتحكيه الحضارة العربية الاولى بابلغ لسان ، وقد ضاع هذا العلم مرة لانه لم يكن قاعدة شاملة للعقل العربى جميعا بل كان قيمة عليا تمسك بها بعض كبار الدارسين والرياضيين العرب ، فى حين ظلت الغالبية فى عماها الشامل ٠

ولو قيد لروح العلم هذه فى ذلك الزمان الغابر ان تصبح قاعدة عامة للروح العربية لاصبح الشرق العربى غير ما هو عليه الآن ، ولكانت للحضارة سمة اخرى مختلفة تمام الاختلاف لعله قدر عجيب ومتناقد ، سمح لقسم كبير من العالم ان يظل فى مرحلته الطفولية ، ولعله نظام دائرى يتيح للامة التى وهبت الحضارة ثم فقدتها ، ان تنتظر دورة العجلة كى تتمكن من ان تعطى وتهب مرة اخرى ٠٠٠ ولعله اخيرا قصور مؤقت اجتاح العقل العربى كما اجتيحت بغداد والاسكندرية مرة ٠

اكبر معالم العقل العربى هو القرآن ، هذا الكتاب المقدس الذى تعمد الا يكون سماويا محضا ، فنظم حدود القبائل العربية ووضع لها جذورها الاقتصاديـة والاجتماعية والاخلاقية ، وذلك لان هذه القبائل كانت تعانى نقصا توحيديا كبيرا ، وحاجة شديدة الى كيان اجتماعى منظم ، واذا بهذا الكتاب الخطير يتحول من شكله الدينى الى مدرسة دنيوية يتعلم فيهـا الطالب كيف يمـارس حياة سعيدة ، واذا بهذا الكتاب يصبح القانون الوحيد لهذه الأرض العربية الكبيرة، ويصبح الحكم المطلق لكافة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التى تقوم فى اى

شكل من أشكال المجتمعات المتطور منها والبربرى ٠٠ وهكذا قيض لهذا الكتاب ان يكون عقل العربى ومشاعره ايضا ٠٠ لقد كان على العربى ان يستعيض به عن العلم وعن الفنون وعن اخلاقه الخاصة ، لانه نمى فى اذهانهم فكرة صلاحيته لكل شىء ، الى درجة ان بعض الكتاب العرب المعاصرين ممن خدعتهم هذه الفكرة يأتون بشواهد فاجعة ، على ان كل اختراع علمى او ابتكار حديث مذكور فى القرآن لان القرآن لم ينس شيئاً ٠٠٠ وبذلك وقع العربى فى العطل والجمود الذهنى ، فضلا عـن الثقة القدرية العميقة بكل ما تأتى به الظروف واحالتها الى ارادة الله التى لا راد لها ٠

وقد كانت ملامح الادب العربى قبل القرآن مميزة للغاية ، ثم بدهـا بعض المفسرين المسلمين الذين عزوا الشعر العربى القـديم الى تأثير الجن والى واد يطلقون عليه اسم عبقر تجتمع فيه تلك المخلوقات ويستمد منهم الشعراء خداع دنياهم الشيطانى ٠٠ وكان على الشعر مهمة ان ينقذ هذا العالم الصحراوى من الجفاف ويعطيه معنى ، ولعل عزلة الجزيرة العربية وتوحدها ، هو السبب فى ان انواع الادب الاخرى كالرواية والقصة والمسرحية لم تجد ارضا خصبة ، وعلى كل حال ، انها انتاج يعتبر حتى بالنسبة الى اوروبا حديثا ومعاصرا ٠٠ وهكذا اصبح الشعر هذه العجينة المطواعة ـ المادة الوحيدة التى استخدمتها العبقرية العربية لكى تعلن عن نفسها ٠

واذن ، فلا مناص عند التكلم عن الادب العربى من تمزيق وحدته والتحدث مرة عن الشعر منفصلا ، ثم عن الشعر بالاضافة الى الآداب المشابهة مرة اخرى ، وذلك عندما تعرف العرب فى العصور الحديثة على تلك الاداب ٠

والكلام عن تاريخ الحركة الشعرية فى البلاد العربية قبل الاسلام يصبح عقيماً ما لم يسبقه الكلام عن الحياة الاجتماعية ويمهد لها ، فالفن قبل كل شىء مظهر متعال وتكاملى لكلما هو ارضى وناقص ، والفن بهذا الشكل انموذج للواقع ، اما فى البلاد المتأخرة ، فيصبح الشكل فى الفن هو كل شىء ، طالما ان الفن مجعول (لنقل) الواقع ، وليس تعاليا عليه ٠٠٠ وعلى ذلك ظهر شكل القصيدة العربية القديمة فى هذا الثوب المبرقش ، الذى يتعمد فيه قائله ان يغرق فى الخيال والمبالغة والادعاء ٠٠ ان يكون فارس الفرسان وحكيم الحكماء واكرم الكرماء ٠٠ هذا المجال وحده برزت ذاتية كل شاعر على حدة ، فى حين بدأ الجميع قصائدهم وختموها بذكر نفس الاشياء ، وبالطبع كانت هذه الحلة نتيجة ميكانيكية لضيق افق الحياة العربية الرعوية وبدائيتها ، وظل الشعر تقليديا ومعلنا عن نفس القيم

حتى آتت مدرسة ابى نواس فحاولت ان تحطم هذا المسار الهادىء بتحطيمها للغايات التى وضعها الشعراء الاوائل بعلامات طريق يتبعها كل مهتد .. ولنلاحظ ان المطالبة بالعودة الى النقيض كما طالب ابو نواس لا تعنى التطور اكثر مما تعنى الرفض ، وهو رفض طفولى قائم على مجرد ملاحظة التكرار والتواتر وهو يماثل تماما رفض « البيوت » السخيف لحركة التصنيع والتطور الآلى .. على ان ذلك لم يكن عبقرية ابى نواس وحدها ، بل عبقرية الامة العربية التى سارت شوطا طويلا فى الحضارة ولمست هنا وهناك عبقرية ألامم الاخرى الادبية ، وتغذت بالشعر الشعبى فى فارس والعراق وسواهما ، واصبح لها وجه اكثر غنى وعمقا عن وجهها التقليدى القديم ، وفى ذلك التاريخ تمكن الذهن العربى من ان يغزو أوروبا نفسها عن طريق اسبانيا وصقلية وقوافل التجارة العريضة فى البحر المتوسط ، وكلنا يذكر انه لو لم تكن صور من الاسراء والمعراج معروفة فى اوروبا لما تمكن دانتى من كتابة الكوميديا الآلهية بهذه الصورة ، ويؤكد لنا ذلك ما كتبه « رودريجو اكزيمينز » اسقف طليطلة ، والرحلة الخيالية التى كتبها « رايموندولوليو » من (قطلونيا) وقصيدة « فاتزيو دلى اوبرتى » عن المعــراج .

ثم حدثت تلك الوقفة الشهيرة للحضارة العربية .. تلك الميتة الصغيرة التى ما كدنا نرفع عنها الاختام حديثا حتى فجعتنا باسرار اكدت لنا ان هذه الوقفة ، لم تكن وحسب طارئة عليها .. بل كانت فى طبيعة هذه الحضارة التى اعطت بقدر ما تمثلت .. ولكن ذلك هو موضوع آخر .

واذن فقد اضمحل كل شىء : التجارة ، الاقتصاد ، العلم ، الفنون ، الشخصية والكيان العربى .. والارض التى كانت واعدة ومبرقة ومهطالة ، اصبحت ارضا يبابا مستعدة ان تكون طائعة لاية فكرة تجتاحها من اقاصى الشرق او الغرب ، وكان ذلك يعنى ضياعها المحقق

وفى الادب ، كمـا فى العلوم جمـدت العبقرية العربية التى كانت خلاقة ومبشرة ، وتوقفت عن العطاء ، ولعل هذه الفترة من تاريخنا هى اظلم ما فيه واشدها بلاء .

وبالنتيجة .. ما دام الادب يتأثر بالحياة ، فان نكسة خطيرة ولا بد ان تصيب الادب بعد نكسة الامة ، ولعلنا قد لاحظنا هذه الظاهرة فى ادب بعض الامم على فترات التاريخ ، ويحسن بنا ان ننحى الادب الفرنسى عن ذلك ، اذ يبـدو ان العبقرية الادبية بهذه الامة تتوهج وحسب فى فترات البلاء ، اكثر مما تتوهج

فى ازمنة البطولة والانتصارات ، ولعلها من اجل ذلك ان تكون احدى المعاقل الحصينة للفكر على مدى التاريخ ٠

ولقد ذكرت تأثير القرآن وتأثير بعض المفسرين فى مقدمة حديثى ، توطئة لهذه الفترة بالذات ٠ ففى هذه اللحظة التى نكبت فيها الامة ، وعاد للكتاب المقدس تأثيره الخطير ، ودفعت العبقرية العربية دفعا ـ تحت تأثير افكار أسوا من افكار محاكم التفتيش الاسبانية ـ الى تجنب كلما منشأنه انيثير الاذهان وفى هذه الفترة احرق ابن المقفع وغيره ، ووضع الناس عيونهم على هذا التحذير الخطير ، وقام النداء الشهير (لنعد الى السلف) ٠ خطوة ، ويوما فيوما اخذت العبقرية الادبية فى الشرق العربى توسع مضجعتها وتزيد فى اراحة اعضائها المتعبة وتتمدد وتسترخى وتتثاءب ، وذلك لان (العودة الى السلف) لم تكن تعنى اكثر من تعطب الذهن وتجميد الخلق ، وقتل الحياة والتطور ٠

اسمحوا لى الا استطرد فى ذكر وقائع التـاريخ ، فكل مـا قلته حتى الآن معروف لكم وهو مدون وواسع الانتشار ، ولاقفز مرة واحدة الى الادب العربى الحـديث ٠

بعد اقل بقليل من قرن كامل لوفاة الرومانتيكية فى اوروبا ، بدأ الذهن العربى الذى اقترب من الغرب كثيرا عن طريق استخـدامـه لنتـائج العلم والتكنولوجيا ، يفيق من رقدته بتأثير التلاؤم اولا ، وبتأثير حركة الترجمة ثانيا ، وظهرت بعض القصص التى تنسج على منوال (غادة الكاميليا ٠ آلام فرتر ٠ رفائيل ٠ ماجدولين ٠ بول وفرجينى) ، كرواية « زينب » لهيكل ، « وسارة » للعقاد، ولقيت هذه الحركة كل القبول، لا لان العقلية العربية كانت مستعدة ـ كما حدث فى العلوم ـ لتقبل اى لون واى نسيج ، بل لان الحياة العربية فى ذلك الوقت كانت اقرب الى النداوة الرومانتيكية، ببراءتها وطهرها واكتشافها البدائى للذات ، هذا الاكتشاف الذى ينمى الاحـلام والفروسية والوهم والقلق والتشاءم ٠٠٠ لقد كان هنا انسانـان يترصدان لبعضهمـا ويتناطحان بانتظار قاض عادل ، وقد كانت الرومانتيكية هى ذلك القضاء الذى لم اليه العقليتين المتخلفة والصاعدة ٠

واستمرت حركة الترجمة ، وبرزت بجانبها حركة الخلق ، فصدرت « عودة الروح » للحكيم ، ونشرت اشعار العقاد وعلى محمود طـه وابراهيم ناجى ، وظهرت (الايام) لطه حسين ثم اتبعتها اعمال الحكيم الدرامائية ٠

تذكرون ايها السادة أننى تحدثت قبل ذلك عن الشعر العربى ، فقلت انه

الوحيد الذى يخضع لما نسميه التعلق بالتقاليد ، لانه الرئيسى الذى عرفه العرب ، واستخدموه على اوسع نطاق ، وما يسميه البعض الآن ، « اكتشافا للروايه العربيه القديمه » فى بعض الاعمال التى تخضع لنظام المقامة ، ليس الا اكتشاف للعبث ، فالفرق بين الروايه والمقامه هو فرق بين قبح الدرفيل ، وجمال الطاووس ، وذلك اذا شئنا ان ننحى جانبا مسألـه الفروق الكيفيـه بينهما ٠٠ وعلى ذلك فقد ظل الشعر خير معبر عن العقليه العربيه ، فى حين كان استيراد الرواية والمسرحيه فى القصه القصيرة ، عملا حديثا جدا ، وبهذا المستوى لا يمكن التحدث عن تقاليد معينة للروايه او المسرحيه او القصة ، وذلك اذا فهمنا التقاليد على انها الموروثات القديمة ٠

على انه ينشأ فى الرواية والقصة والمسرحية تقليد معين ، بالنسبة للتطورات الخـارقـة التى دخـلت عـلى هـذه الآداب اخيـرا فى اوروبـا ، فى حـين ان هـذه الآداب بعـد ان تاصلت فى الشـرق العربى ، وحملت ملامحه ، اصبحت خاضعة للتطورات الجزئية النسبية فيه ، ولم ترضخ ــ الا فى أقل القليل ــ لحركات التطور الخارجية ، وهنا ــ مرة اخرى ــ تتدخل الظروف الحياتية لتفرض وضعا معينا على هذه الآداب ، وترسم لها حدودها ٠

ففى الوقت الذى اتجهت فيه دور النشر العربية ، لترجمة الادب الواقعى السوفيتى ، وادب مكسيم جوركى خاصة ، ظهر سيل متعـاظم مـن القصص القصيرة التى تتشبه بأقاصيص جوركى وتتمثلها ، وبقدر ما كان ظهورهـا سريعا ، كان ضمورها اسرع ، ولا اقول ان العقلية العربية قد نبذت هذه الاعمال ، اكثر مما اريد ان اقول ان التمثل لنوع معين من الادب ، لابد ان يحتاج وقتا اطول بكثير من فترة التأثر الصغيرة نسبيا ٠٠٠ وبعد هذا الزمن ظهرت بعض الاعمال الممتازة ، التى لا تحمل معالم جوركى ، وان كانت تحمل التأثر التكتيكى به ، وهى اعمال القصاص الممتاز يوسف ادريس ٠

ولا بد ان نلاحظ ، ان بعض الحركات الفكريـة فى القصة الاوروبية . قد حظيت ببعض القبول فى الشرق العربى ، بعد ان ادت الرومانتيكية رسالتها ، فقد اتجه بعض الشباب الى الغـرب وتأثروا بمعالم الادب الاوروبى الحـديث واكتشفوا « فرانزكافكا » و « سارتر » و « كامو » وسواهم ، وقد اتضح هذا التأثير فى كثير من قصص سهيل ادريس ، ويوسف الشارونى ، ومطاع صفدى، وبعض المثقفين الآخرين ٠٠ وبنفس المستوى ، دخلت الرمزية والسيرياليـة والمفهوم الوجودى للادب ، على ان التطبيقات ، قليلة للغاية ، لان مقدار المترجم من هذه التيارات ، لا يساعد على تنشئة جيل واع بها ٠

من هذه العجالة يتضح ان الحركات الفكرية في اوروبا تجد صداهـا في الشرق العربي سريعا ، في صورة اعمال ادبيه قليلة المدى الانتشارى ، وعليه التأثير ، وذلك لانها تحمل هموم الغربي بصفة عامـة ، ولا تستجيب لمطالب العربي الاساسية ، واعتقادى انه من اجل ذلك يلقى احد القصاصين الممتازين كل تجاهل واعراض ، وهو زكريا تامر ٠

ان حركة الاستمداد من الغرب لا بد ان تصحبها حركة نقدية تخفف من صدمة انتقال العالم الغربي الى العالم الشرقي ، بل وتمهد لها اولا ٠٠ وكلنا نذكـره بمنتهى الاعتزاز ، فضل الـدكتور طـه حسين ومجلة « الكـاتب المصرى » على الواقع الادبي الراهن ،وما فعلته هذه العبقرية الخلاقـة مـن تمهيـد للارض ٠

والواقع ان النقد العربي قديم كالشعر ، وهو كالشعر ايضاً ، يستمد وجوده من الفيم الشكلية التى احتضنها صنيعه ، ومعظم ما كتبه الجرجانى وأبو هلال العسكرى والآمدى وابن المعتز وقدامة، يخضع لتعريفات النقد الشكلى ، بالرغم من اعتراضات الدكتور محمد مندور وبرغم مؤلفه القيم « النقد المنهجى عند العرب » ٠٠ وعلى ذلك فقد ظلت هناك مدرسة نقدية كاملة تحاول ان تطور النقد الشكلى ليصبح ذاتيا ، وقد نجحت فى ذلك ، فى نفس الوقت الذى عادت فيه بعض العقليات الممتازة من دراساتها فى اوروبا ، لتحاول ان تدخل بعض التعديلات ، ثم بمرور الوقت بعض التغييرات الجذرية فى حركة النقد الحديث ، وكان على رأس هؤلاء : طه حسين ، ومندور ولويس عوض ، والعقاد ، والزيات ومحمد عوض محمد ٠

والآن ٠٠ لقد وقع المحظور ، واصبح الادب بفروعه جميعـا ، خاضعـا فى كثير من جوانبه للحركات الفكرية الاوروبية ، يتأثر بها وينسج على منوالها ويحقق فيما يكتبه نفس القيم التى تتحقق فى الكتابات الغربية التى يعجب بها ، بل ان الشعر العربي نفسه ، وهو الفن الوحيد ـ باستثناء الزخرفة ـ والذى يملك خلقية عربية اصيلة ، يقع فى المحظور نفسه ، فنجد ان اعمال « رامبو وسوبرفيل ، واوركا ، وحكمت ، ونيرودا ، فاليرى ، وييتس ، واليوت وسيتول » تتضح فى بعض اعمال شعرائنا وتطل من عليائهـا حركـة يمكن تسميتها بحركة « المغالطة الوجدانية » ، فليس الشكل وحده هو الذى يخضع لتأثير هؤلاء الشعراء الكبار ، بل ان المحتوى كذلك يتأثر ٠٠ ففى هذا الشرق العربي الذى لم يعرف عن الآلة والميكانيكا ، الا ما عرفه شعب المايا المكسيكى

من تكافوء الكتلة والطاقة ، او تعادل المادة والمجال ٠٠٠ فى هذا الشرق الروحانى ، تنشر تباعا بعض القصائد المنسوخه التى تتكلم عن آلالة ، كما عرفه لنا (كونستانتين جيورجيو) فى روايته المخيفة « الساعة الخامسة والعشرين » ، هذا الرجل الذى يصنعه مجتمع بلغت فيه الآلى اوسع واعمق نطاق ، الى درجة ان العواطف نفسها تصبح ميكانيكية ٠

وقد يتفاءل بعض النقاد ويطلقون صفة الشمولية والكونية على مثل هذا الشعر، ولكنه فى النهاية يبقى شعرا غريبا عن ارضه ، واقل مستوى بكثير من الشعر الغربى الذى يناقش فى صدق هذه المرة ، تلك الافكار ٠٠٠ انها اذن حركة ارتدادية ، تتطلب الانسانية عبثا ، اذ انه بمقدار ما كان الشاعر متعصبا لامته، كان واعدا بالانسانية الشاملة ، فالشمول يبدأ بملاحظة الذات ، ولا يبدأ بالعكس ٠

لقد لاحظنا حتى الآن ، ان عالمين ادبيين كاملين يتنفسان فى الوطن العربى ، ويحاولان الاستئثار به ، احدهما هو الادب الذى اصبح عربيا بعد ان تأثر اخيرا بالواقعية الاوروبية ، والآخر هو الادب التابع لاوروبا ، وهو الذى يستجيب سريعا لكل حركة تأتيه من الغرب ٠

ولاذكركم مرة اخرى ايها السادة ، انه لا توجد تقاليد بالنسبة للآداب العربية ، خلا الشعر ، وسوف تهتدون الى ان المقصود بالتقاليد فى مستوى السؤال المطروح ، ليس هو (الموروثات الادبية) اكثر مما هو الروح والنفسية العربية التى مرت بالنكسة الحضارية التى سبق ان اشرنا اليها ، فتغير تبعا لها كل شيء ، من الهندسة العربية الخشنة لنظام المساجد ، الى الرؤية الخاطئة لمستقبل الانسان ٠

انها اذن ازمة حضارة ، وليست ازمة وجود ، وليست ازمة ادبية ٠ ازمة فهم للعالم وليست ازمة تقاليد ٠

ترى ٠٠٠ ما هو موقف الاديب الشاب ؟ هذا القديس الصغير ـى ما زال يحلم بتحقق المعجزة ٠ كيف يواصل طريقه ، واى الطرق يتبع ؟ هل يوافق على رفض ماضيه ، والبداية من جديد هل يعترض على ذلك ، فيرفض التبعية، ويستخدم ماضيه فقط ؟

وللاجابة على هذه الاسئلة ، لا بد ان نشير اشارة خاطفة الى الحياة العامة فى شرقنا العربى الراهن ٠ من السهل على الحاكم فى الشرق العربى ان يعيش

بمعزل عن الشعب ، وان يقطع الحرية ، وا نيامر بالسجن والاعدام ، لانه يجد في التقاليد ما يسنده ، ويبرر افعاله • فالعقلية العربية الحديثة ما زالت تمكر على نفس النمط الجاهلي القديم حيث مكان المرأة هو الحريم ، وحيث تبتدى اخلاق الفروسية من شهامة وشجاعة وحس عميق بالكرامة وبالشخصية •• هذه العقلية قد وافقت من الباطن على اشد جرائم الحياة بالنسبة للانسان ، وهو الفقر •

ففي الاوقات التي كان فيها خلفاء المسلمين كالرشيد وسواه يحظون باعظم المتع واروعها ، مما ذكره التاريخ وذكرته عبقرية الامة الشعبية في الف ليلة وليلة •• كان شعب باكمله يتضور جوعا وأسى ومرضا ••• وسندت التقاليد هذا الظلم ، لانه في مكان ما من القرآن ، توجد آية مبثوثة تقول : « وجعلناكم طبقات فوق طبقات » •• وقد استمر هذا النمط من الحكم حتى الآن ، وان الزيارة الخاطفة التي قامت بها الطبيبة « فايان » الى اليمن، وذكرت فيها تلك الحقائق الفظيعة المؤلمة لتعطى صورة نصف كاملة عما يدور في معظم بلاد الشرق العربي من قطاعات في القرن العشرين • ان شعبا باكمله يموت جوعا بدون ان يعلم شيئا عن امكانيات الحياة ، وعن الطب وعن العلاج •• وقد صدمت هذه الطبيبة عند ما اكتشفت في صنعاء حجرة معمل كاملة ، من آلة التقريط المجهري ، الى مقياس الضوء ، الى فرن التجفيف والتطهير •• « لا شيء ناقص » كما قالت هي ، ولكن جلالة الامام يرفض ان يعمل جهاز واحد الا حين يمرض طفل من اطفاله السعداء •

سادتي : اعرف انني اثقل عليكم هذه المسائل ، ولكنها في اعتباري شديدة الاهمية عند التكلم عن الفكر في اى مكان •• اذ لست اعرف فكرا منفصلا ، يؤلف وحدة قضية او قيمة معينة ، وقد وضعت كتب متعددة تصف حال الفلاحين في مصر والبلاد العربية الاخرى ، ولعلكم تذكرون ما كتبه الدكتور الاب هنرى عيروط اليسوعي ، وجان مارى كاريه ، وهرتمان ، وموريه ، وارنست شانتر وغيرهم ممن عنوا بدراسة الفلاح والارض الزراعية في مصر ، ولا حاجة بي الى الافاضة في هذا الحديث ، الذى ربما اضع خلاصته الدقيقة اذا قلت ان حال الفلاح المعيشية وادواته لم تتطور منذ الفرعون المصرى امنتحب •

ان الفقر هو مشكلة المشاكل ، وداء الادواء العويص في الشرق العربي ، ولا بد ان تبدأ النهضة من هذه النقطة بالذات لا من غيرها ابدا ، وباعتقادى انه اذا استمرت هذه الحركة الانفصالية للادب عن الحياة ، فان مصيرها سوف

يكون الالتصاق بالغيبيات ، او على الاقل بأسوأ الوان الادب الاوروبى ، اى الادب التابع الذى لا يملك اصالة الجذور ، وفى الشرق العربى يذكرنا اجدادنا بحكاية الغراب الذى فقد قدرته على المشى الى الابد ، فهم يتذكرون انه فى القديم كان طيرا عاديا يسير بطريقة سوية للغاية ، ولكنه منذ اراد ان يتعلم مشية العصفور الدورى ، فقد قدرته الاصلية على السير ، واستمر يحجل بهـذه الطريقـة الشائنة • لعلها نبؤة صغيرة وتافهة ، ولكنها بكل تاكيد تحمل دلالاتها •

قد تعرفون ان كثيرا من القوافل التى تعبر الصحراء عندنا تؤنث الشمس وتذكر القمر ، ولكنكم قد تتشككون فى اسباب هذه النظرة المخالفة لنظرة اوروبا والغرب كله ، فحيث تسير القوافل فى المساء متجنبة جحيم الشمس الفظيعة فى النهار ، يستمد القمر رجولته من اعين المسافرين تحت شعاعـه الخافت ، ومن رغبتهم الحارة فى اشراف رجـولى على شناعة المخـاطر التى يجتازونها •• وهم ينامون فى النهار وتصبح الشمس عندهم شيئا غائبا ، اى متواريا كما يتوارى الجنس الآخر فى الحريم •• ان القمر مذكر بخلاف ما يظن الكثيرون ، ولعله من اجل ذلك تختلف الثقافة والحضارة والفكر العربى عن ايـة ثقافـة أخـرى ، فى ان لها وجههـا الخاص العميق •• لعلنى قـد ابتعدت قليلا •

لقد مررت بمشكلة الفقر فى سرعة ، لاننى اعلم انكم اكثر منى ادراكا ، واعلم انكم قد لاحظتم اننى عند ما اذكر الفقر ، فاننى اعنى التقاليد • فالتقاليد ليست صورة تجريدية مرسومة فى الذهن ، بل قيم مجتمع معين ، لم يعرف العدالة ولم يعلم عن الرفاهية شيئـا •• فـاذا تغير الوسط تغيرت النظرة الى الامور ، وقد لاحظ هذا احد المفكرين الكبار وهو سلامة موسى ، الانسان الذى لم يعرفه عصره • أن الاديب العربى الشاب ، واقف هنا فى لحظة التنوير هذه فمن جهة يبرز الوجه القوى السيد لاوروبا ، ومن الجهة الاخرى يكشف الوجه العربى عن طفولة بريئة وضعيفة •• واذا فلا بد من الاختيار — من وجهة نظر طبيعية — ولا بد من صيغة واحدة لتجميع هـذه الافكار ، التى تتـلاطم فى ذهنه •• لا بد من جواب واحد على هذا النداء الاثيرى بالوجود •

لقد قلت (لا بد) وهى من الكلمات التى تخص المستقبل • اما الواقع ، فان هذه الانفصامية التى يحس بها حتى السائح فى مدينة كبيرة كالقاهرة ، حيث تشيد عمارات على احدث طراز اوروبى جنب بيوت صغيرة تطل منها المشربيات وتزينها نمنمة يختلط فيها الطراز العربى بالفارسى ، وتستخدم

انراجيل والوسائد ومصابيح الزيت ، وحيث ترتفع فى الجدران الداخلية طبقة من الفسيفساء العربى موشكه ان تخفى انموذجا من الجص لنف معلقة ٠٠ هذا الانفصام يؤثر بشدة على موقف الاديب الشاب ويريكه ٠٠ فالامر ليس امر اختيار بين شكل اوروبى وشكل عربى للفكر والعواطف الذاتية ، انما هو اعقد من ذلك ، انه اختيار غشيم بين فكر وعواطف شرقية ، واخرى غربية ، وهكذا نحس بالغرب يدب فى كياننا ويحصرنا ٠٠

والمراقب الامين لسيل الكتب والمجلات الادبية عندنا يلاحظ هذه الانفصامية فى كل شىء ، واذا كان عسيرا على الرواية او القصة القصيرة ان تكون نسخة من الاصل الاوروبى ، فأن الشعر سهل عليه ذلك ، واذن فان اثنين من شعرائنا الشباب هما بدر شاكر السياب ، وصلاح عبد الصبور ، يعبران عـن هـذه الانفصامية خير تعبير عند ما يستعيران من (ت ٠ س ٠ اليوت) عالمه الكامل ، بل ويوشكان ان يطالبا بالكاثوليكية التى يطالب بها هو ٠

هو خطأ آخر وقع فيه الذهن العربى حين التزم بافكار ارسطاطاليس القوية العارمة ورفض ان يبدأ من (صغره) الخاص ٠٠ او بعبارة اخرى ، رفض ان يلتزم بتاريخه وثقافته ، ومن اجل ذلك يقول بعض المستشرقين ، ان الذهن العربى غير قادر على الخلق والاكتشاف ٠٠

قد يقول البعض ، ولكن الثقافة شىء عام ، وليس ضيرا على الشرق العربى ان تكون ثقافته اوروبية ، بمعنى انسانية ٠٠ ولكن هذا الكلام يخفى مغالطة احسبكم تستشعرونها ، فكما ان هملت لم ينشأ فى كوالالامبور ، وكذلك لم تنشأ الباجادكيتا فى ويلز ٠٠ يستحيل على الادب العربى انيكون وجهاً لاى ثقافة اخرى ، ومنذ جمدت الحياة العربية ، جمد معها كل نشاط عقلى ، وليست التحسينات التى طرأت على الادب العباسى ثم الاندلسى ، الا تحسينات جزئية تابعة للترميمات البسيطة التى ادخلت على الكيان العربى وقتها ٠٠ ومنذ هذه الانتفـاضة العربية وعمرها عشر سنوات والتى تـود ان تخلع كل شىء من جذوره ، اصبحت فكرة التحسينات عندنا مصحوبة بهم شديد لا يطاق فاما التغيير الكلى ، واما النوم مرة اخرى واخيرة ٠

هل هو نضب فى الاحساس ؟ ٠٠ كلا ٠٠ فاشعار البحترى والمتنبى وعبيد ابن الابرص والحادرة وتأبط شرا وذى الاصبع والاخنس ، وصوفيات محى الدين بن عربى وعمر بن الفارض تنكر ذلك واذن فما هو ؟

لعل المحراث الفرعونى والبابلى الذى مـا زال يستخدمه الفـلاح فى مصر والعراق حتى الآن ، هو بعض الجواب ٠

والآن ، باعتقادى ان الصورة التى وددت ان تكون موحية ، قد اخذت تبرز وئيدا • ولعلكم قد لاحظتم بانفسكم ان كل القيم الروحانية التى نحاها الغرب من حياته لانها تتعارض مع الحياة المادية التى يعيشها ، ما زالت موجـودة فى شرقنا العربى ، واذن فان نتائج العلم تصطدم مع هذا الاستبطان الوجدانى ، وينسخ احدهما الآخر ولعلنى اسير بالفكرة قدما فاقول ؟ : ان عقل العربى الحديث يتغرب ، فى حين ان مشاعره هى هى ••

وتقع اذن مسؤولية تقريب هاتين المسافتين المتباعدتين على عاتق الاديب العربى الشاب •

لقد لاحظنا ان التقاليد بمعنى (الموروثات الادبية) قد انطفأ نورها بعد ان تقدم الشعر العربى واصبح منـافسا للشعر الاوروبى ، وبعد ان استخـدم الروائيون والقصاصون العرب ، ما يستخدمه الغرب من فهم وتقييم للاعمال الفنية • اما التقاليد بمعناها الحيوى ، فما زالت تؤثر فى حياتنا جميعا لانها فى الحقيقة جزء هام من وجودنا ، وهى منقسمة الى شرعيتين : احداهما ضارة ، والاخرى لا ضرر منها •

فحيث لا يعتمد العربى على الغيب ، وعلى المقدر ، ويرفض الانصياع لما تحتمه الظروف ، يكون الضرر •• وحيث يتنفس العربى حبا وودا لكل ما هو عربى تكون الفائدة •• ولعل التقاليد بهذه الصورة ، يصلح فصلها الى :

1 ـ عادات مجتمع سابق

2 ـ قيـم قـومية

والخلط يحدث عادة ، عند ما يتكلم احدنا عن القيم القومية على انها عادات المجتمع القديم ، او بالعكس • وقد دفع فى هذا الخلط كثير من الكتاب الشباب

هناك التزام عربى واحـد ، لا بد ان يقف فى قلبه الاديب العربى الشاب الذى لاحظ وكشف وعرى كل جوانب هذه الامـة التى ظلمت كثيرا ، هـذا الموقف الالتزامى نظرى واخلاقى ، فهو من جانب لا بد ان يكون فى صف المطالب العربية الرئيسية ، وهى : الوحدة • الحرية • الاشتراكية ، بكل ما يتبع ذلك من حدة وشرف وايمان بالماضى والمستقبل ، وهذا هو الجانب النظرى من المسالة ، اى الجانب المؤثر الذى يختفى قطعا فى اعماق عمله الفنى ، ولا يظهر الا بشكل عفوى وساذج ، ولعلكم تلاحظون الآن اننى لم اتكلم عن الفقر عبثا ••

اما الجانب الاخلاقى ، فهو الجانب الذى عينتموه لى ، كى اتكلم عنه ••

والآن ٠٠ هل يمكن استعارة الاخلاق ؟ وما هى الصورة التى ستكون عليها حياتنا اذا نفظنا قيمنا ؟

مستحيل بالطبع ان نستعيد الاخلاق ، او نلفظ قيمنا ، فاخلاق ما ، هى برغم المجتمع الذى تشارك كل خليه به توجـد ، فى هده العملية التتويجيه النهـائية ٠٠٠

واذن ، فان تحول المجتمـع العربى الذى عـاش كثيرا على القيم الرعويـة والزراعية، سوف يطور الفكر حتما عند ما تتحول الارض الى القيم الانيه والصناعية الجديدة ، والاديب الشاب جزء لا يتجزأ من هذه الارض التى تتغير وتتطور ، فلا بد ان يسهم من جهه بالقضاء على عادات المجتمع السابق ، ولا بد ان يحض من جهة اخرى على القيم القوميه ، وان يدافع عنها ، وان يموت فى سبيلها ٠٠

كثيرة هى الاشياء التى يستمدها الاديب العربى الشاب من الغرب: علم التحليل النفسى ٠ النقد الحديث ٠ الرموز ٠ الى آخره ، ولكنها جميع تدخل تحت اسم التطوير التكنيكى ، ولا تمس اخلاق الاديب الخاصة ، على الا يحدث المزج بين هذه القيم الثانويه ، وبين الاخلاق بصفة خاصة ٠

اذن ، لقد لاحظنا ، تلخيصا لما مضى ، فقرا شديدا فى الينابيـع الادبيـة بشرقنا العربى ، ولاحظنا كذلك ان من اشد اسباب هذا التعطيل هو اكتشاف الاديب لزيف اللحظة الاخلاقية والفنية التى يعيش فيها ، فمن جهة ، هناك الغرب القوى ، ومن جهة اخرى هناك تاريخه الفقير والتابع ٠

كيف اذن يتدارك الادباء الوضع ، كيف يمكن انقاذ هذه الامة ؟ هل يمكن انقاذها بشجب ادبها جميعا ، والقائـه فى المحيط ، ثم استبدالـه بالادب الاوروبى ؟ هل يمكن تدارك الوضع ، برفض الادب الاوروبى والعودة الى الادب العربى القديم المهترىء ؟ !

ان نتيجة الاستعانة باى منهما على حدة، سوف تكون كفيلة بتهديم الادب العربى وتحطيمه نهائيا ، فرفض الادب العربى القديم ، وخاصة الشعر ، لا يعنى الا البداية من جديد ، وبطريقـة غريبة للغايـة ، فمـا يسمم الـذهن الشرقى الشاب ، ويحيله الى صورة مشوهة عن الاصل، وكذلك اذا طالبنا بالانكفاء على ادبنا القديم واجتراره ، ورفض كل مـا استحـدثته اوروبا من تجديـدات واضافات وتعميقات سوف يؤدى الى ان ينعزل ادبنا ، ويصبح تكرارا مؤسفا لما مضى ، واذن ، هل يلقى الموقف السياسى والاجتماعى عن الامة العربية اى ضوء على هذه المشكلة ٠ وخاصة اذا رفضنا ان نتكلم عن الادب وحده باعتباره جزءا منفصلا عن الحياة فى صورتها الشاملة ؟ ! ٠

تعاني امتنا العربية فى هذا العصر من مشكلة يمكن تسميتها بمشكلة البحث عن الذاتى ٠ وهى تبدأ دائما بادراك التخلف ، ووعى الهوة العميقة التى تتردد فيها الامة ، فيما اذا استمرت تحيا بتلك الوتيرة الواحدة ، واذن ، فقد بدأت الجماهير العربية تعى تخلفها ، وجمودها ، ورغبتها الحارة والعنيفة فى ان تقاوم هذا التحجر الشديد الذى يدفع بها الى الخلف ، ويميتها أجيالا بعد اجيال ، وقد خلف فيها هذا الوعى بعدالة مطالبها ، روحا ثورية ممتدة من اقصى الغرب الى اقصى الشرق ، وبدأنا اذن نتفحص عن قرب ، كافة المطالب والانتصارات التى انتزعها الغرب ، ووددنا لو استحوذنا عليها دفعة واحدة ، لذلك لا يؤمن العربى بالحلول المتوسطة ، ولا الحلول الجزئية انه يطالب بحركة جذرية شاملة تكون اساسا لكل التغيير الواسع العميق الذى يطالب به منذ اجيال بعيدة ٠٠٠

واذن ، فهذه الحركة التى ينتظرها الشرق العربى ، ليست حركة من نوع الحركات التى يحاول بها حكام صغار وتافهون ان يغشوا العربى ببعض الاصلاحات اليسيرة ، متصورين ان الامة العربية سوف تظل موكلة اليهم امورها ، بل هى حركة ثورية بالدرجة الاولى ، تريد ان تقلب عالى الارض سافلها ٠ ان تحقق جانبا كبيرا من مطالب الجماهير التى تصرخ من اجل العدالة والحرية ، وهى من اجل ذلك ، يجب ان تصدر عن جذور اشتراكية عربية ، لان النظامين الاقطاعي والراسمالى ، قد مزقا الارض العربية بانانيتهما ، واقتصارهما على خدمة طبقة قليلة ، تحكم وتغتنى وتكتنز ، على حين يظل العربى فقيرا وجاهلا ومريضا ٠٠

اذا كانت حياتنا فى الشرق العربى كذلك ، فهل نسميه ادبا ذلك التقعر المقيت الذى يكتبه بعض الادباء وينشؤون فيه ادبا بعيد الصلة بالانسان العربى ويتكلم فى جماليات حلوة وناعمة ؟ هل نسميه اديبا ذلك الانسان الذى يتجاهل وضع امته فى جميع جوانبها ، رافضا ان يفكر فى الطغيان الذى يحياه ابناء وطنه ، ورافضا ان يلتزم خطا اخلاقيا وفكريا فى صالح امته

هل نسميه فكرا ، هذه النمنمة البليدة المصطنعة التى هى وريثة الزفرنة العربية التى تبدأ من المطلق وتنتهى فى المطلق ؟

لماذا يتحاشى هؤلاء الادباء ان يظلوا فى حدود عروبتهم ، ولماذا ينحلون عن التزامهم باوضاع من وطنهم ؟ اليس لانهم جماليون وحسب ، يرفضون هذه الصلة الاقترانية الشديدة بين الادب والحياة اليس لانهم يخونون هذه اللحظة

العظيمة التى بدأ فيها العربى يفتش عن ذاته ، بعد الف سنة من النوم والركود ؟ اليس لانهم يتجاهلون ان الحياة العظيمة الغنية الشاملة ، تحتاج ممن يحاول صقلها على الدوام بواسطة عمله الغنى اخلاصا عميقا لها ؟ .

وهكذا نجد ان مشكلة التقليد والتجديد ، تجد الآن ركيزة تستند اليها فليس المهم ان يتخلى الاديب عن تقليديته وجموده ، اذ ان المهم هو موقفه بعد هذا التخلى الذى سوف يعتبر غشيما ، اذ لم يجد له طريقا منذ الآن ... طريقاً محدداً وصارما فى تحدده . طريقا تقدميا يبغى ازالة الفرقة والطغيان والفقر من الوطن جميعاً ... طريقا يبدأ بنحن العرب ، وينتهى بنحن العرب .

لقد ذكرت لكم منذ لحظات ، ان هناك فارقا كيفيا بين عادات المجتمع السابق وبين القيم القومية العميقة الجذور ، وقلت ان البلبلة تحدث عند ما يتكلم احدنا عن قيمة منها ، وهو يعنى الاخر فى الحقيقة ، وبهذا الشكل تشابك المفهومان واصبح احدهما يدل على الآخر .

لقد ذكرت لكم بعض القضايا ، متفرقة لا يربط بينها الا ربط التواحد فى مكان واحد .. قلت ان الفقر هو المشكلة الاولى فى شرقنا العربى ، ويليه الطغيان والتمزق ، وقلت ان آدبنا يخلق من التقليدية (باستثناء الشعر) وذكرت لكم ان التقليدية موجودة فى نفوس الناس ، وليس فيما يكتبون او يقرأون .. ثم اكدت لكم ان ملامح العربى تختلف فى كل شىء عن ملامح الاوروبى ، معتمدا على انكم سوف تربطون بين ذلك ، وبين الرغبة التى يعبر عنها البعض الان فى استخدام الاحرف اللاتينية ، واحيانا اللغة الاوروبية لطمس الادب العربى وتحطيمه ، كما ظهرت فى « يارى » سعيد عقل ..

ان الاستعانة بالاداب الاوروبية عمل لا بد منه ، ولم اجد فى الشرق العربى كله كاتبا مجيدا واحدا ، يجهل لغة او لغتين اوروبيتين .. كما ان استخلاص الجيد والعميق والجذرى فى تاريخنا الادبى ، عمل لا بد منه ايضا ... فلكى يتخلى الاديب الشاب حقا عن التقليدية ، وجب الا يرفضها .. بل ان يدرسها اولا ، وسوف ياتى رفض بعد ذلك تلقائيا ، وبدون الحاجة الى بحث عن البديل لانه سوف يكشف للوهلة الاولى ان الحاجة العميقة التى دفعت اجداده الى انشاء مثل ذلك الادب ، تناقض الحاجة العميقة التى يحس بها هو ، لانشاء ادب يعبر عنه وعن حياته ... وبهذا الشكل وحده ، يكسب الغرب ايضا ، بدون ان يخسر نفسه ..

ان الارض العربية تتصنع الان ، وتقام فيها المنشئات الالية الكبيرة ويهاجر من القرى سنويا آلاف من الريفيين الذين يتقاطرون الى المدن ، لانهم اما استكملوا دراساتهم العالية ، واما فقدوا ثقتهم بارباح الارض ، وهكذا تنشط المدن هذه الهجرة العجيبة التى تزيد من مساحتها ، وتجددها دوما

وهكذا ايضا ، يبدأ العقل العربى فى رفض كل ما من شأنه ان يعطل مساره الطبيعى الى آفاق بعيدة واسعة ..

لقد كان التصوف ، والتبحر فى العلوم الصفراء هو واحد من أشد خلال العرب اصالة والان ، يبدأ كل ذلك فى الانزواء ، لان الحاجة العميقة الى التطور تقذف بحاجة آبائنا الى الرضى والخمول ..

وباعتقادى انه من المستحيل ان يكون الفكر الصادر من اعلى ، اساسا للتطور الشامل للامة ، وهذا يفسر عدم رواج التراجم التى تقدمها وزارة الثقافة والارشاد فى الجمهورية المصرية ، لشكسبير وسيرفانتس وجوته .. فلا بد حين نريد البناء ان نرسى الاساس ، لا ان نجمل السقوف ..

وعندى ان افتتاح مدرسة اولية فى احدى قرى الصعيد اجدى واشد فاعلية من ترجمة شكسبير ، مع ضرورة ذلك ...

والفكر تابع للارض ، وهو سابق لها احيانا ، بيد ان هذا السبق تقوم به اذهان على غاية من القوة والجبروت ، مما نفتقده فعلا فى ارضنا العربية ، وعلى ذلك فيجب ان نقنع بالقضية الاولى ، وهى ان الفكر تابع للارض ، لا يتغير الا بعد ان تشاء الارض ، وعلى هذا الاساس يجب ان يكون موقف الاديب الشاب ، موقفا بنائيا ، يتعمد فيه ان يكون اولا ، لا قائدا يشير ويحكم بل مواطنا عاديا يحمل فى يديه الحجارة ، ليقيم جزءا ضيقا فى البناء ، يضاف الى الاجزاء الضيقة الاخرى ، التى يقيمها الفلاح والصانع والمدرس والموظف فى وطنه العظيم ..

لعله دور صغير ، لا يتناسب مع آمال الكاتب الشاب واحلامه ، ولكنه بدون اى شك دور واجب ومستقبلى وخالد . انه التزام ان يكون العربى شريفا وحرا وكريما الى ابعد الحدود

الرواية والقصة القصيرة والمسرحية ودورها

في المجتمع العربي

بقلم : **جبرا ابراهيم جبرا**

لم يعرف العالم العربي يوما مثل هذا العدد الكبير من الكتاب ، وان يكن الكثيرون منهم كتابا لا وجه لهم • واغلب الظن ان ما يكتب اليوم من شعر ونثر يزيد عما كان يكتب في اي فترة من فترات التاريخ العربي • ولئن يكن المستوى في بعض الحالات رفيعا ، خليقا بامة ناهضة ، فانه يكاد يكون معدوما في معظم الحالات • فبين قطب البلاغة الكلاسيكية التي ما زالت عزيزة على المتمسكين بالاسلوب القديم ، وقطب الهذر السقيم الذي لا يخلو منه اي عصر ، نجد الجزء الاكبر مما يكتب بالعربية اليوم ، مراهقا ، تافها ، لا عضل له ولا عصب • ولئن تتواتر احيانا اسماء الروائيين ، فان المتمعن في مطولاتهم ليدهش حين يراهم ينتسبون خيالا وهدفا الى كل ما هو سوقي ومبتذل في مطولات المجلات القصصية المصورة في الغرب ، حيث يتقاسم الابطال الفضيلة والرذيلة على السواء ، وينتهجون الطريق الى الاولى عن طريق الثانية • لقد ظهرت في السنوات الاخيرة روايات كثيرة يبدو ان مؤلفيها يبتدعونها بسرعة وتداعي احلام النهار • ففي رد الفعل الهائل الذي طرأ على الصحافة بعد شيخوخة الرعيل الاول من كبار الكتاب او موتهم ، تمثلت الرغبة في مجاراة روح العصر في الاف الصفحات التي راحت المطابع تقذفها حاملة ادب التسلية ، ادب التمويه على الحياة ودواخل النفس ، ارضاء لجماهير القراء من انصاف الاميين الذين تعاظم عددهم في الاقطار العربية بانتشار التعليم • ولست اريد ان اعدد اسماء مثل هؤلاء « الروائيين » فهم يقرأون على نطاق واسع ، ولهم ، بين النساء على الاخص ، معجبون يلتهمون حلوياتهم السخية • ولكنني لا اتردد في القول بان هذه الروايات عديدة ، طويلة ، مخدرة ، لها من صلابة الفكر والخيال ما للهلال من صلابة ، ولها من العلاقة بالمجتمع ما للمريخ به من علاقة •

قبل ثلاث سنوات كتبت آنسة لبنانية ، هي ليلى البعلبكي ، رواية طويلة ، متقطعة ، متناثرة الاجزاء ، عنوانها « انا احيا » • وقد لاقت هذه الرواية رواجا كبيرا ، ووضعت مؤلفتها الشابة تحت اضواء ساطعة من الصحافة واستطلاع الجماهير : ذلك لان بطلة الرواية الصبية لها من الجراة ان تقول بصراحة انها

تريد ان تحيا وان تحب في عالم ينهشه الحقد وتقطع اوصاله السياسة·كانت المؤلفة في التاسعة عشرة من عمرها عند ما كتبت قصتها هذه سرا ، مخفية الامر عن والديها · وجاءت القصة غضة ، عفوية ، فيها غنائية لفظية رائعة تدنيها من غنائية الشعر ، وتعوض عن التجزؤ الظاهر في حركة الرواية وخطتهـا · ولو اختصرتها المؤلفة الى نصفها او ثلثيها لقلت انها حققت ، بضربة واحدة ، ما لم تحققه معظم اقلام الذين سبقوها الى الفن الروائي في لبنان · غير ان المهم هو انها استطاعت ان تتخطى الحذلقة ، وتتخطى المواقف المفتعلة ، وتتخطى الخوف من اللغة او عليها ، وان تكتب رواية اشد نضجا ــ تقنية ومحتوى ــ من روايات « الدكتورة » و « الاساتذة » · لقد استطاعت ان تفصح الحاجة الحقيقية ببراءة لم يفسدها التهويل وادعاء التفلسف ·

في هذا كله ارى حقيقة رمزية ، تتضح في ما فعلته الانسة ليلى بعلبكي في روايتها الثانية « الآلهة الممسوخة » · لقد قامت قائمة البعض على رواية تكتبها فتاة فتوقف النفس دهشة في حلوق القراء ، فلما صدرت « الآلهة الممسوخة » جاؤوها بقسوة وفظاظة · وهذه الرواية من حيث الشكل أفضل من سابقتها بكثير : فان لها مخططا صارما ، والفعل فيها مسير ببراعة وتيقظ · غير انها اقل نضارة وغنى وحيوية عن سابقتها ، وتوترها العاطفي الذي تحققه المؤلفة باستخدام لغة مشحونة وكنايات ممركزة اليمة ، انما هـو توتـر مضطرب · والغريب ان النقاد المغضبين هاجموا ما هو في رايي اجمل ما في الكتاب : لغته واسلوبه · في حين ان خطا التكوين فيه هو في الاساس منه : الموضوع · فالفتاة التي يأخذها استاذ متزوج الى احدى علب الليل المعتمة قد تعد هذا حادثا اشبه بطامات التاريخ الكبرى او وقائعه الحاسمة غير ان القارىء لن يرى فيه ، مهما تهيأ للتعاطف مع الصبية المسكينة ، حادثا يتحمل لغـة الطامـات والوقائـع وهنا منشأ اضطراب القصة وخيبتنا فيها ·

هنا اذن النقص الاكبر في الرواية العربية المعاصرة : خلوها من « الموضوع الكبير » والموضوع الكبير ، في كل فن متكامل ، هو في النهاية موضوع مأساوي انه الموضوع المنبثق عن حس الانسان مأساوي بالحياة · لعل آداب الغرب ، من مآسي ايسخلس الى روايات وليم فولكنر ، هي التي توحي لنا بمثل هذا

الراى . ولكن هل تستطيع الرواية العربية الا ان تكون استمرارا للرواية الاوروبية ؟ بل ان الفن الروائى الذى نعرفه اليوم هو فن اوروبى . قد تكون له جذور فى « الف ليلة وليلة » ، كما قد تكون له جذور فى التوراة والاناجيل ، ولكن تطوره من روايات الرومانس ، (ولهذه ايضا جذور فى القصة العربية القديمة ، ولا ريب) الى روايات دوستويفسكى وجيمز جويس وفولكنر انما هو تطور فى خط واحد هو خط المأساة . والمأساة هنا هى المأساة التى عرفها ارسطو : انها تصوير للفرد وهو يجابه القوى الكبرى ، مهما لبست هذه القوى من اقنعة انها تصوير للشخصية الانسانية ضمن اطار الحدث . والحدث وسيلة لتحديد معنى المجابهة والسمو الانسانى والموت عن اختيار ، لا عن صدفة ، فى روايات الرومانس ، يخرج الفارس الى متاهات الحياة ليحارب الشر دفاعا عن الفضيلة . وخروجه هذا انما هو بحث ومخاطرة ومجابهة ، تعين فى النهاية شخصيته . وحين تطورت الرواية ، اصبح البحث لا فى الغابات والجبال والاصقاع النائية ، بل فى متاهات المجتمع ، متاهات المدينة . وفى عصرنا هذا تحول البحث الى متاهة هى رمز للمتاهات الاخرى : متاهة النفس والدماغ والوعى واللاوعى . وفى هذا البحث دائما مجابهة تتحقق على شفا المأساة .

من هذا كله لا ارى اثرا يذكر فى رواياتنا العربية المعاصرة . فالرواية لدينا ما زالت لا تؤخذ مأخذ الجد من الروائى ، وما زال طابعها الاوضح طابع اللعبة والتسلية . وكثيرا ما يعتبر القاص لدينا « ناجحا » اذا استطاع تحقيق هذه التسلية على نحو اولى يتجنب تعقيد التقنية التى هى العامل الكبير فى بناء الرواية المثلى .

وهنا أيضا نجد ان الرواية الاوروبية تنمو وتتجدد بنمو وتجدد المحاولات الاسلوبية . ففى كل رواية عظيمة يتناول الفنان اللغة كمادة رخصة حية ويسعى فى تطويعها لادراكه الحياة وحسه بها . الالفاظ ، الجمل ، زاوية النظر ، الحوار ، المونولوغ الداخلى ، كلها وسائل تقنية لتحقيق الاسلوب الذى يدرك الروائى به هدفه . ومن هذا كله لا ارى فى رواياتنا الا القليل النادر . ولعل « زقاق المدق » لنجيب محفوظ ، و « يوميات نائب فى الارياف » لتوفيق الحكيم

هما الروايتان الوحيدتان اللتان تدلان على وعى بعض هذه الامور » مما يجعلهما من إفضل ما انتج الادب الروائى العربى المعاصر ٠

ان فترتنا الراهنة ، فى العالم العربى ، فترة دينامية ٠ لم يتململ ويتطلع الغرب منذ حوالى ألف سنة كما يتململون الان ويتطلعون ٠ وقد انتقلوا فى ربع قرن من الزمان من سكونية سادرة الى حركة نشيطة هادرة ٠ غير اننا يجب ان نعترف ايضا ان هذه الفترة ، روحيا ، فترة مقلقلة ، مضطربة التوازن ٠ ولعل المفكر فى كل عصر من عصور النمو الاقتصادى ، غريب صعب الاندماج ٠ وحيثما ينتعش التاجر ورب العمل ، قد ينتعش صاحب الفندق ومغنى الملهى،ولكن قد لا ينتعش المفكر بالضرورة ٠ وفترتنا هذه ، من الناحية السياسية ، فترة دينامية قلقة ايضا ٠ تكاثر وتوالد فى الاحزاب ، سرا وجهرا ، دون ان يتمتع اى منها بقوة أوسلطة ٠ والسلطة اصبحت اميل الى ان تكون ميزة الافراد لا ميزة المؤسسات المنظمة ٠ وبقدر ما تستثنى الاحزاب بعضها بعضا ، هكذا يستثنى الافراد بعضهم بعضا ، ويتهم بعضهم بعضا ٠ والتهم عنيفة ، لا هوادة فيها ولا تسامح ولا تقل عن اقصى ما يمكن لانسان ان يتهم به اخاه وابن عمه ٠ والمتاهات التى يتشبث بها الافراد والمنظمات ، هى آفة الفكر : انها محاولة الكبت ومنع الرؤية وفرض الصمت ٠ والجماهير قد تتارجح بفعل هذه العملية يمنة ويسرة ، ولكن اذا انغمر الكتاب والفنانون المبدعون فى هذه الكتلة المتأرجحة ، فقد تنازلوا عن حقهم فى الرأى وواجبهم تجاه المجتمع ، واصبح « ابداعهم » ترديدا ودعوة ، لا فتحا للرؤى وانطلاقا نحو الاسمى من غايات الانسان ٠

غير ان الرواية العربية حتى الآن لم تتأثر بهذه الدينامية ، وهذا التأرجح والفوران فهى لا تعطينا رؤية خاصة لوضع اجتماعى خصب كان يجب ان يثير القاص ويلهمه ٠ فهى اذن ، كما اراها ، قد قصرت على الصعيد الفردى كما قصرت على على الصعيد الجماعى ٠ لست اعرف رواية تتصل جذورا وفروعا ، رمزا وتجسيدا ، بالتجربة الكيانية الضخمة التى نمر بها اليوم ٠ لقد حاول احد الروائيين الشباب ذلك فى رواية صدرت فى العام الماضى (هى « جيل القدر ») فاراد ان يقيم فيها جسرا بين خضم من الافكار السياسية المسبقة المعروفة وبين

حياة اشخاص يحاولون التوفيق بين النضال السياسي والحرية الجنسية والوجودية ـ غير ان الاخيرة كانت اقرب بمفهومها الى مفهوم هوليوود المموه المفصول عن جذور الامكان والواقع • وكانت النتيجة ركاما غير متماسك يعتمد المبالغات الميلودرامية والنص المباشر ، فلم يفلح فى عكس حياة العنف والتوق والخوف والتغيير التى نحياها الآن•الا ان محاولة المؤلف كانت فى مكانها ، ولا ريب • وان اخفق فلعله لن يخفق ثانيا او ثالثا •

اذا كان للرواية ان تنبثق عن تجربة الفرد والجماعة ، من ناحية ، وان تفعل فعلا ديناميا فى حياة الفرد والجماعة من ناحية اخرى ، فلا بد لها ، فيما ارى ، ان تنشط كعمل فنى على مستويين اثنين هما :

اولا ، مستوى الواقع (الفن « مرآة المجتمع » الخ)

ثانيا ، مستوى الاسطورة •

والمستوى الثانى فى غاية الخطورة ، ولا يتحقق بيسر • بل ان المستوى الاول حيث يحاول الروائى اعادة خلق الواقع فى شكل متنام متكامل ، لايتحقق بنجاح نفسيا وثقافيا ، وحضاريا ، الا بتحقيق المستوى الاسطورى • والمشكلة هى ان المستوى لا يمكن ايجاده بمجرد القصد والتصميم • وميزة الفنان الكبير هى ان هذا المستوى يتحقق بين يديه على نحو يقارب العفوى وهذا المستوى الاسطورى يعطى الرواية نفاذها وقدرتها على الفعل الدائم فى النفس وفى المجتمع •

وهذا يؤدى بنا الى القصة القصيرة فى الادب العربى المعاصر • فالظاهرة التى لا مرية فيها هى ان كتاب القصة القصيرة كانوا حتى الآن اكثر توفيقا فى تصوير الفرد والمجتمع على اكثر من مستوى واحد ، كما كانوا اشد فعلا فى تطوير الاساليب الادبية ـ وفى ذلك دليل على ما تركوه من اثر فى المخيلة العربية ، جنبا الى جنب مع الشعراء • فاذا استثنينا اساتذة النقد الجامعيين الذين ينصب جل همهم على جلاء غوامض الأدب الكلاسيكي ونشره بين الاجيال الطالعة احياء للتراث واغناء للغة الحديثة (وقد كان اثرهم فى المجتمع العربى عميقا حتى عام 1948 ، اى حتى نكبة العرب بفلسطين) ، فان الذين تسحرهم امكانيات اللغة والاسلوب والتقنية املا فى تطوير الادب وتوثيق الصلة بينه وبين النفس العربية الحديثة هم كتاب القصة القصيرة•ويخيل الى ان العرب الذين عرف عنهم

عشق القصيدة منذ اقدم الازمان ، يجدون ان العبور من القصيدة ، بطولها المحدود وموضوعها الواحد ، الى القصة القصيرة ، بمحدوديتها كذلك طولا وموضوعا ، امر يسير قريب الى النفس . ليس يعنى هذا ، بالطبع ، ان القصة القصيرة سهلة التاليف ، او ان كل من حاول كتابتها اتى بشيء جديد او جميل غير ان البارعين من كتاب القصة القصيرة اكثر عددا ، وابعد نفوذا من الروائيين ولئن يعد كتاب قصص التسلية بالعشرات ـ وهذا امر لا بد منه كلما كثرت المجلات ـ فان بعض القصاصين ياخذون فنهم ماخذ الجد والحرص ، ويدخلون عليه التجارب الاسلوبية ، ويحاولون به التغلغل الى الدواخل وخلق الشخصيات والاجواء .

وفى العراق كانت القصة اليسارية من اهم اشكال الادب واعمقها فعلا فى انفس الشباب لسنين طويلة . وحسبنا ان نذكر قصص ذو النون ايوب ، التى رغم تخلخلها فنيا كانت مدرسة لجيل كامل من ادباء العراق المحدثين . وحين يقارن المرء بين قصصه وبين القصص التى كان يكتبها فى الوقت نفسه قاص مصرى مشهور كابراهيم المازنى ، نجد الفارق الكبير بين اسلوبين اثنين : فابراهيم المازنى غنى بالالفاظ الجميلة والمواضعات الطريفة بينما ادار ذو النون ايوب ظهره الى مثل هذه الالفاظ والمواضعات ، واستوخى لغة بسيطة مباشرة الاداء ،ومواضعات اليمة تمتد جذورها فى تجربة اهل العراق . وكانت النتيجة بعد فترة ما ، ان الذين تتلمذوا على المازنى كانوا فى الاغلب كتاب الصحافة والادب العابر ، بينما الذين تتلمذوا على ذو النون ايوب وجدوا قصة قوية الشكل عنيفة الصلة بالمجتمع ، فكان لهم اثرهم فى الشباب من قصاصى مصر ولبنان وسوريا .

ولكن لا بد من القول هنا ان هذا الضرب الجديد من القصص ، الذى قد يصفه اليساريون بالواقعية الاجتماعية ، يعانى علة اساسية اخذت تتضخم مع اشتداد الحركات اليسارية فى العالم العربى ، لا سيما لدى الشيوعيين منهم . فعلتها الكبرى هى انها تمثل تبسيطا مغاليا لقضايانا الحياتية . وهى تتوخى فى معظم الاحيان ما اسميه الرؤية الى الاسفل من الاعلى . فابطالها « البلوريتاريون » يتكررون الى ما لا نهاية ، لا وجه لهم ولا فردية ، يعرضون علينا وجهة نظر كتاب

« بورجوازيين » يعيشون البورجوازية ولكنهم مصممون على تسليط خيالهم على ابناء الريف وفقراء المدن ، ولكنهم يقسون من مركب الجرم تجاههم . ولذا فان الذين يحاولون تقليد اقاصيص عبد الملك نوري الجميلة في العراق لا يبنون اليوم الا بشخصيات مكرورة ، مسطحة ، غير مقنعة ، هي في النهاية شخصيات تافهة . وكذلك الحال في قصص يوسف ادريس الموفقة ، في الاقليم المصري من الجمهورية العربية المتحدة : لقد استنفدت امثال هذه القصص قواها واجمل ما فيها ، ومن العسير ان نرى لها اثرا في كتابة ابداعية او رؤية خلاقة جديدة .

في لبنان حاول بعض القصاصين كسعيد تقي الدين وحليم بركات شيئا لعله ابعد عمقا واعقد شكلا . ففي اقاصيص تقي الدين خيال دائم الاتقاد توجهه نظرة هي في صعود وهبوط مستمر بين مطاوي المجتمع العربي ، تتسم بحب جارف للحياة لا يستنكف عن السخرية لشدة ما فيه من عطف . اما بركات ففي اشخاصه من قلق الشباب العربي وشكه وتمرده اللاهادف ما يستطيع ان يعدونا بمشكلاتهم . وهناك قاص لبناني لم يعرف بعد على نطاق واسع ، هو توما الخوري ، نراه يقتحم حيوات الافراد — ولكن دون غلو — ليرينا اياها من الداخل دونما استعلاء ، وضمن اشكال تعنى بالجمالية كما تنشحن بالسخرية والشفقة . وفي دمشق قصاص فذ ، هو زكريا تامر ، يلعب بالتجربة لعبا سحريا ، ويحولها باسلوب قريب من السريالية الى ما يشبه الشعر المغنى — مع الكثير من الغضب والحزن . بينما نرى في القصص الاخيرة لسميرة عزام ، وهي فلسطينية تقيم في لبنان ، دنوها من منابع المأساة ، وتصويرها لبعض نواحي النكبة الفلسطينية تصويرا بارعا يتجنب التضخيم الكاذب ويحقق الحس بالالم

غير ان افقر انتاجنا المعاصر هو ، ولا ريب ، المسرحية . لقد كان في البلاد العربية في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن حركة مسرحية تعتمد في معظمها الترجمة والاقتباس . غير ان السينما قضت عليها قضاء مريعا ، لانها فيما يبدو ، لم تتغلغل في حياة المجتمع تغلغل الحاجة والغريزة ، كما هو الحال في الغرب . وانه لمما يبكى ان بلادنا ، فيما عدا الاقليم المصري ، تكاد تخلو من المسرح . ولكن حتى في مصر ، رغم استمرار الفرق التمثيلية من القرن الماضي ورغم توفر المسارح ، ورغم مساعدات الدولة — وان لم تكن حتى الآونة الاخيرة

الا فى مقادير زهيدة ــ لم ينشط الانتاج المسرحى على نحو يجعله جزءا هاما من الحركة الادبية المعاصرة · فمسرحيات احمد شوقى وعزيز اباظة الشعرية ، على جمالها ، اقرب الى القصيدة الغنائية منها الى مسرحية الحركة والشخصية · والكثير من مسرحيات توفيق الحكيم ، على براعة حوارها ، لا يصلح للتمثيل باستثناء « اهل الكهف » و « شهرزاد » · والعديد من المسرحيات التى كتبت بوجه اخص فى مصر ولبنان يفتقر الى موضوع الصراع المأساوى الذى قد يخلق فيها ابطالا يتذكرهم المجتمع فيريد رؤيتهم اكثر من مرة · والملودرامة التى تزعمها يوسف وهبى سنين طويلة باتت تجد لها منفذا فى الافلام التى هى اصلح لها من خشبة المسرح ·

وواقع الامر ان العراق ليس فيه حتى اليوم مسرح خاص بالتمثيل ، رغم وجود معهد للفنون الجميلة يدرس التمثيل · وكذلك الامر فى الاردن ولبنان وفى الاقليم السورى · انما تستأجر المسارح العامة ــ وهى قاعات تستخدم للاجتماعات الكبرى ــ لبضع ليال هنا وهناك لعرض بعض المسرحيات المترجمة او المسرحيات الموضوعة التى هى اقرب الى المهازل منها الى الكوميديا الحقيقية · والغريب ان هناك فرقا تمثيلية كثيرة ، تتالف من هواة يعشقون المسرح ، ولكن انعدام المخرجين البارعين ، عدا انعدام قاعات التمثيل المزودة بالاجهزة الحديثة ، يثبط الهمم ، وبالتالى لا يقبل المؤلفون على تاليف المسرحية الا فيما ندر ·

غير ان هناك بوادر تشير الى ان هذا الوضع فى سبيله الى التصحيح · فقد انعش وجود التلفزيون فى بغداد مثلا فرق التمثيل من جديد ، وجعل الكتاب يؤلفون بالعامية مسرحيات تتصل بحياة الشعب · واخذت الحكومات العربية تولى هذا الامر اهتماما متزايدا ، فجعلنا نسمع عن مشاريع ثقافية تستهدف بناء المسارح وتخصيص المبالغ لفرق التمثيل · ولعلنا نرى فى العشرين سنة القادمة مسرحا عربيا يحتل مكانا مرموقا من حياتنا الثقافية · وبقدر ما يسرت المجلات انتاجنا القصصى فزادت منه ، سيبسر المسرح الانتاج المسرحى ويزيد منه ، ولذلك يجمل بنا ان نمسك عن اعطاء الحكم على نوع هذا الانتاج حتى ذلك الحين

جبرا ابراهيم جبرا ــ بغداد ــ

الالتـزام واللا التـزام في الادب

العـربي الحـديث

بقلم بدر شاكر السيـاب

ـ 1 ـ الادب عـامـــة :

ليس موضوع الالتزام واللا التزام فى الادب بصورة عامة وفى الشعر بصورة خصة بالـموضوع الجديد · لقـد عرفـه القـدماء وان عـرفوه تحت اسمين آخرين غير الالتزام واللا التزام ، وبحـدة أخف من الحـدة التى اخـذتهـا الـدعـوة الى الالتزام · و لانعـدو الحـق اذا قلنـا ان نصيب « الالتـزام » القديم من الانسانية والشمول اكثر من نصيب الالتزام الذى نعرفه اليوم · كن الشعر ـ وبالتالى الادب بكل فنونه ـ ينقسم الى ادب موضوعى ـ وهو ما يقابل الادب الملتزم ـ والى ادب ذاتى ـ وهو ما يقابل الادب غير الملتزم ·

والحق ان كبار الشعراء ظلوا ـ حتى اواخـر القرن السابع عشر ـ ادبـاء ملتزمين اى موضوعيين وفى وسعنا ان نعدد من الاسماء ما يثبت ذلـك ابتـداء بهوميروس وصوفوكليس واسخيلوس من آلاغريق فمروا بشكسبير وجونسون وراسين وكورنى وامرىء القيس وطرفه بن العبد والمتنبى وكثير من الآخرين· اما الشعر العربى فلم يعرف الدعوة الى الالتزام او التملص منه الا فى فترة متاخرة كان النقاد العرب القدامى يقسمون الشعر الى ابـواب او « فنون » كالغـزل والحماسة والمديح والهجاء والرثاء وسواها · ولم يكونوا ليفضلون اى « فن » من هذه الفنون على سواه · ان الشاعر العربى نشأ ـ اول ما نشأ ـ ملتزما دون ان يدعوه احد الى ذلك · واذا كان الشعر الجاهلي او لما وصلنا من الشعر العربى القديم فقد كان الشاعر الجاهلي لسان القبيلة ، تغضب فيعبر عن غضبها ، وتحزن فيصور حزنها ، وتتقاعس اذ يعتدى عليها فيثير الحماس فى نفوس ابنائها ويدعوهم الى الثار والدفاع عن كرامتهم · على انه لم يكن كهفا اصم يردد ما يتناهى اليه من اصوات ، وان كانت عواطفه مشدودة الى عواطف قبيلته · كان يحكم عقله ووجدانه فيما يعرض له من امور، فحين شبت الحرب الطاحنة بين عبس وذبيان وطغت قعقعة السلاح على صوت العقل فما يسمع · ارتفع صوت الشاعر زهير بن ابى سلمى يشجب الحروب ويبـارك السلام الـذى كان قـد حـل لتـوه :

وما الحرب الا ما علمتم وذقتمو
وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة
وتضر اذا ضريتموها فتضرم
فتعرككم عرك الرحى بثقالها
وتلقح عشارا ثم تنجب فتتئم

وحين جاء الاسلام فرض الدين الجديد الالتزام على شعرائه ـ رصا وان لم يأمر بذلك صراحة ٠ فقد اصبح الشاعر المسلم ـ والدين فى اول جدته ـ يرى حرجا فى التغزل باخته المسلمة او فى هجو اخيه المسلم او فى التعالى بنسبه على انسابه الآخرين ٠ فصار لزاما عليه ان يسخر فنه الى الدعوة الجديدة ، يمدح الرسول ويصف حروبه ويهجو اعاديه ٠ لذلك اصاب الشعر فى صدر الاسلام ذلك الركود الذى اصاب الادب الروسى بعد الثورة البلشفية ، حين فرضت الدولة على الادباء مواضيع بذاتها بل ووضعت لهم مخططات ادبية وطلبت اليهم ان يبعثوا الحياة فيها ٠٠ وبعثوا فيها لا حياة وانما ما يمكن ان تبعثه الآلة فى الدمية الميكانيكية من حركة ٠ غير ان حدة الوازع الدينى ما لبث ان خفت ، واصحاب ابناء المدن رغدا من الحياة ونعيما فى العيش فانطلقوا يفسقون ويمجنون واذا شعراء كعمر بن ابى ربيعة وغزله المتهتك وكالاخطل وخمرياته وكجرير والفرزدق وما دار بينهما من هجاء مقذع يظهرون فى المدن العربية الجديدة ، واصيب سكان البوادى بخيبة امل شديدة وحرمان من نعم الحياة ٠٠ فاذا هم متقشفون زاهدون ، واذا شعراؤهم يعبرون عن حرمانهم من المناصب والنعم والثروات عن طريق الغزل العذرى الذى ما فيه غير التوجع والتشكى وسكب الدموع ٠ غير ان الشعر العربى لم يعدم شعراء يؤيدون هذا الفريق السياسى او ذاك : الامويين او الهاشميين، ويعبرون عن ميولهم السياسية بشعر يستحق ان يوضع فى المرتبة الاولى من مراتب الشعر السياسى ٠

ورغم ما قد يبدو لاول وهلة من استقلال شخصية الشاعر العربى فى العصر العباسى وانصرافه الى التعبير عن شؤونه الخاصة ، لم يكن ابو نواس ولا العباس بن الاحنف ولا مسلم بن الوليد كل الشعراء العباسيين٠ والحق ان هؤلاء الشعراء خرجوا عن خط الشعر العربى ، اى عن موضوعيته والتزامه ، لانهم كانوا كلهم او جلهم على الاقل من الاقطاب الفكريين للحركة الشعوبية التى تقمصت صورا شتى : فهى المنادية بانصاف الفقير والغاء الفروق بينه وبين من هم احسن منه حالا ٠ وباباحة النساء بين رجال المجتمع دون تفريق ، تارة ، والمنادية تارة اخرى

بان : « لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى » او بان الفرس كانوا اصحاب حضارة ومدنية ولم يكن العرب الا بدوا ارباب شويهة وبعير • وقد امتدت هذه الحركة الشعوبية ـ بكل وجوهها : السياسية والفكرية والدينية ـ الى العصر الحاضر • فقام شاعر يدعى انه شاعر « التقدمية » فى العراق يخاطب القوميين من ابناء العراق مفتخرا عليهم بسلمان الفارسى ••• ويقول :

سلمان اشرف من ابيكم كعبة
وعصام ما عرف الجدود عصام

لقد ظل الشاعر العربى فى العصر العباسى يسلك ذات النهج الذى سلكه الشعراء العرب من قبله غير خاص عواطفه الذاتية الا بالنزر اليسير ، ومفتعلا التعبير عنها فى اغلب الاحايين ، ابو تمام والمتنبى والمعرى هم خير من يمثلون هذا الاتجاه الموضوعى للشعر العربى فى العصر العباسى •

وفى عصر الانحطاط الفكرى ، اصبح هم الشاعر العربى ان ياتى بالجناس او الطباق المستظرف ، وان يكتب قصائد ذات قواف مستعصية ليثبت براعته اللفظية لا اكثر • هذه الفترة من تاريخ الشعر العربى تشبه الى حد ما الفترة التى مر بها الشعر الانكليزى فى اواخر القرن السابع عشر الى اواخر القرن الثامن عشر حيث ظهرت تباشير الحركة الرومانتيكية على يد توماس غراى وكوبر وسواهما • وما لبث الشعر العربى ان شق عنه قشور البذرة التى كانت تخبئه دفينا تحت الارض • ولاح فى سمائه شعراء كالبارودى وحفنى ناصف ، لم يختلفوا فى وجهتهم الشعرية عن الاتجاه العام للشعر العربى ، كانوا شعراء « ملتزمين » الى اقصى حدود الالتزام التى كان يمكن ان توجد فى تلك الحقبة التاريخية •

واستعاد الشعر العربى على يد احمد شوقى كامل رونقة السابق واتجاهه الموضوعى • ما كانت لتمر من مناسبة قومية او تقام من حفلة وطنية الا وارتفع صوت شوقى وصوت حافظ وصوت خليل مطران مجلجلا فيها •

قد يعترض معترض فيقول : اترى فى تحول الشعر العربى الى شعر مناسبات استعادة لاتجاهه الموضوعى • ولرد هذا الاعتراض يجدر بنا أن ندرس تلك الحقبة التاريخية وندرس اتجاهاتها السياسية والاجتماعية • ولا يتسع مجال هذه المحاضرة الى اكثر من اشارة عابرة الى بعض تلك الظروف • لم يكن الشعر ولا حتى السياسة قد نزلت الى الصعيد الشعبى بعد واذا صح ما يقال من ان الشاعر الملتزم قد شد اعصابه الى اعصاب الجماهير فراحت حركة طفيفة من هذه

تثير رجات عنيفة في اعصاب الشاعر ، فيما كانت اعصاب الجماهير لتتحرك ان لم تحركها هزة من الطبقات العليا او الطبقة الوسطى بتعبير اصح • ولم يكن في وسع الشاعر ان ينتظر رجة الوحى من انتفاض للجماهير وحركة لها • كان الشاعر هو الذى يحرك الجماهير وما كانت الجماهير لتحرك الشاعر • وكانت الإحتفالات التى تقام في المناسبات الوطنية تهيىء للشاعر الفرصة المناسبة لـ « امتياح » المشاعر من اعماق نفسه ، كما يمتاح الزارع الماء من بئر ارتوازية تحفر له • كن عليه ان يمتاحه فلم يكن ليتدفق كما يتدفق من نبع غزير •

وفي اواخر ايام شوقى ظهرت في عالم الشعر العربى حركة جديدة ، لقد تأثر شعراء تلك الحركة بما قرأوه من الشعر الرومانتيكى الانكليزى والفرنسى الغرامى منه وشعر الطبيعة والشعر الذى يعبر عن خوالج نفس الشاعر من حزن وفرح وشك او ايمان ويأس او امل • لعل اولئك الشعراء (ونستطيع تسميتهم شعراء مجلة ابولو) لم يطلعوا ـ او لم يعجبهم على الاقل ـ من شعر شللر الا على القبرة والسيرنادا الهندية ودعوة ولم يطلعوا على آثاره الاخرى الاكثر اهمية او لم تعجبهم على الاقل ، من بروميثوس طليقا الى ثورة الاسلام كما لم يقرأوا ـ او لم تعجبهم ـ قصائد بايرون التى غنى فيها كفاح اوروبا الثائرة من اجل حريتها • اما الموضوعية التى عرفوها فهى موضوعية الشاعر احمد زكى ابى شادى رائد تلك الحركة وأبيها التى سماها « بالشعر التصويرى » حيث كان يؤلف قصيدة عن كل لوحة او صورة مرسومة تعجبه • غير ان شعر بعض من اولئك الشعراء لم يخل من بعض المشاعر الوطنية والقومية والشعبية • ولم تستطع تلك الحركة الشعرية الإستمرار في عزلتها عن الاحداث السياسية والوطنية التى كانت تجرى من حولهم في الوطن العربى • فما لبثت مجلة ابولو ان احتجبت وما لبث شعراؤها ان تفرقوا • ورغم النجاح الذى صادفه بعضهم ـ من حيث الشهرة او الحظوة عند النساء ـ فقد طمحوا في أواخر ايامهم الى ان يحلوا محل شوقى، شاعر المنابر والحفلات والمناسبات الوطنية • حتى أن الشاعر المصرى على محمود طه اصدر ديوانا جمع فيه قصائد تختلف عن بقية شعره ، من حيث المواضيع والاتجاهات هو (شرق وغرب) الذى صور فيه بعض البطولات العربية والاسلامية • واصدر محمود حسن اسماعيل ديوانا سماه « الملك » قصره على مدح فاروق ملك مصر السابق •

وحين قويت الحركة الشيوعية في الوطن العربى في اعقاب الحرب العالمية الثانية وصار في وسع الشيوعيين ان يصدروا مجلاتهم في عدد من العواصم

العربية • كمجلة الفجر الجديد التى كانت تصدر فى القاهرة ومجلة ام درمان التى كانت تصدر فى الخرطوم ومجلة الطريق التى كانت تصدر فى بيروت وبعض المجلات والصحف العراقية التى لم تكن احداها لتعمر طويلا •• فى ذلك الحين ظهرت نغمة جديدة كان الشيوعيون عازفيها ، تلك النغمة • هى الفن للفن او الفن للمجتمع • واصبح فى وسع الشيوعيين بجماهيرهم الواسعة المهيئة اكفها للتصفيق وصحافتهم التى كانت تمولها مصادر مجهولة - او معلومة بأحرى - ان يرفعوا اى شعرور او متأدب ينضوى تحت لوائهم او يجاريهم على الاقل الى مرتبة ما كان ليصلها حتى نهاية حياته ، لو لم يرفعوه اليها • بل ان بعض الشعراء المبدعين بحق ، لم يستطيعوا الصمود امام ذلك الاغراء الشيوعى فانحرفوا مع التيار الاحمر ، مضحين بفنهم وانسانيتهم وبكل ما يحرص الاديب عليه • من اولئك الشعراء الشاعر اللبنانى المبدع المرحوم الياس ابو شبكة والشاعر العربى - المصرى آنذاك - عبد القادر القطر - والشاعر الفلسطينى ابو سلمى وآخرون وآخرون •

لقد بسط الشيوعيون مسألة الالتزام وعدمه او مسألة الفن للفن - بما فى ذلك الادب - والفن للمجتمع تبسيطا اخفى جوهر القضية بل ومسخ معنى الادب الملتزم او الادب للمجتمع او الادب الواقعى •

فى عام 1945 وكنت عضوا فى الحزب الشيوعى العراقى دفع الى الحزب بكتاب مؤلف باللغة الانكليزية عنوانه « الماركسية والفن » ، لقد طرح مؤلف الكتاب مسألة الفن للفن او الفن للمجتمع ، بالشكل الآتى :

كتب المؤلف الشيوعى :

« يقول دعاة الفن للفن : اذا رسمت بيضة او بيضات فى عش ، ثم نجحت فى تلوين ما رسمت •• فذلك يكفى • المهم ان تنجح فى رسم ما تريد رسمه وفى تلوينه »

ويرد المؤلف الشيوعى على ما زعم من حجة دعاة الفن للفن • اننا نقول لهؤلاء اذا كان المهم هو ان تنجح فى رسم ما تريد رسمه وفى تلوينه فلماذا لا ترسم ، بدلا من العش والبيضة ، عائلة كادحة يبكى اطفالها من الجوع ، وتنجح فى رسمها وفى تلوينها ؟

ولما كان موضوع المحاضرة هو الالتزام واللا التزام فى الشعر وليس فى الفن بصورة عامة ، أرى من الافضل ان اتكلم عن الموقف الشيوعى من الشعر الملتزم او الشعر الجماهيرى او النضالى كما يسمونه •

تعتقد الشيوعية ان ليس هناك من فلسفة صحيحة غير الفلسفة المادية الدايلكتيكية وان ليس هناك من حلول صحيحة ، لاية مشكلة ، غير الحلول

الشيوعية • وعلى هذا الاساس يحرم على الشاعر الشيوعي - او اى شاعر يريد ان يرضى الشيوعيون عنه - الاتيان بأية فكرة غير مستمدة من الفلسفة الشيوعية او الاتيان بأى حل غير الحلول الشيوعية التى تقررها كتب ماركس وانكلز ولينين وستالين بصورة عامة وتقرر تفاصيلها وجزئياتها منشورات الحزب الشيوعي في بلد معين •

اليكم ابياتا من قصيدة كتبها شاعر شيوعي عراقي عن القضية الفلسطينية ، قبل ان يتخذ الاتحاد السوفياتي موقفه المعلوم منها :

فلسطين لك المجد
وللمجد فلسطين
من الشرق الى الغرب
تحييك الملايين

∴

على مهلك يا شيخ الولايات على مهلك
ذر الذرة واستعمل لنا الذرة من عقلك

الى آخر هذا النظم الركيك الذى لم يستطع ان يرتفع حتى الى مستوى الشعر الردىء • وللشاعر ذاته بيت حظى بدوى من التصفيق والهتاف قل ان يحظى به بيت شعر • يقول من قصيدة له القاها بمناسبة ذكرى الوثبة - وهو الاسم الذى اطلقه الشيوعيون العراقيون وتبناه بقية ابناء الشعب على مظاهرات الشعب العراقى التى احبطت معاهدة بورتسموث واسقطت حكومة صالح جبر عام 1947 :

فالعراق الحر فى وثبته
يحسن الوثبة صيفا وشتاء

ولم يقتصر الشيوعيون العرب فى تطبيق مقاييسهم الماركسية على الشعر العربى المعاصر ، بل تعدى بهم الامر ذلك الى الرجوع الى الشعر والادب العربيين القديمين وتطبيق مقاييس الواقعية الماركسية والادب النضالى عليهما •

كنا ذات مرة مجتمعين فى حلقة شيوعية ادبية ، حين اخذ اديب شيوعى يهاجم شكسبير ويصفه بشاعر «الرجعية والاقطاع» المتحدث عن الملوك والامراء والقواد لا عن العمال والفلاحين • وحين احتججت بان شكسبير مات حتى قبل ان يولد كارل ماركس ، اجابنى بان هناك الكثيرين من الشعراء والادباء

«التقدميين» الذين جاؤوا قبل ماركس. ولماذا نأخذ على هذا الشيوعي العراقي موقفه هذا وقد وقفت صحيفة الديلي وورکر ـ جريدة الحزب الشيوعي البريطاني هذا الموقف ذاته من شكسبير ، وهاجمته لانه لم يعبر عن مصالح البروليتاريا وامانيها .

وحين رفع الشيوعيون شعار السلام العالمي راح الادباء والمتأدبون منهم ينقبون في الادب العربي القديم عما قيل في شجب الحرب والدعوة الى السلام. وكتب اديب شيوعي عراقي ، يسمونه اديبا كبيرا ، مقالا عن المتنبي وقصيدته في شعب بوان ، جاعلا نقطة انطلاق بيت المتنبي :

يقول بشعب بوان حصاني
امن هذا يسار الى الطعان

وخلص من هذا الى القول الى ان المتنبي كان مروج حرب بينما كان حصانه نصيرا للسلام . ورغم انني كنت شيوعيا آنذاك فقد علقت على مقالته قائلا بان حصان المتنبي قد وقع على نداء استوكهولم بحافره .

ازاء هذه الحملة الشيوعية العنيفة ، لم يستطع اغلب الشعراء العرب صمودا فراحوا يكتبون شعرا نضاليا على نمط ما يكتب الشيوعيون واصبح الفرق الوحيد بين الشعراء الشيوعيين وبين اغلب الشعراء الملتزمين من غير الشيوعيين هو اختلافهم في بعض الكلمات التي يستعملونها. فبينما يردد الشاعر الشيوعي كلمات « السلام » و « الكادحين » و « الراية الحمراء » ، يردد الشاعر غير الشيوعي كلمات « العروبة » و « الجهاد » و « المجاهدين » .

على ان كلمة « التزام » لم تستعمل في النقد العربي بمفهومها الحالي ، الا بعد ان استعملها جان بول سارتر . وجاءت دعوة سارتر هذه الحجة لغير الشيوعيين بان الادب الواقعي والادب الملتزم ليسا وقفا على الشيوعيين . وكان الشيوعيون قد قطعوا السبيل على النقاد غير الشيوعيين حين ادعوا بكل شاعر او اديب مكافح ، غنى الحرية والعدالة وتحدث عن البؤس والفقر . فادعوا مثلا بالشاعر الاسباني لوركا بل واوشكوا ان يدعوا بالشاعر الانكليزي كولردج .

ان الدعوة السارترية والنكبات التي اصابت العرب من النكبة الفلسطينية حتى الحرب الجزائرية الراهنة ازالت الفروق بين نوعين من الادب الملتزم بصورة عامة والشعر الملتزم بصورة خاصة : الشيوعي وغير الشيوعي . ان قيام الاحزاب في البلدان العربية وما يؤدي اليه قيامها من اجتماعات ومهرجانات ومظاهرات قد شجع الشعر المنبري ، شعر المناسبات .

ولعل استفحال خطر الشعر المنبرى كان من جملة العوامل التى ادت الى ميلاد حركة الشعر الحر واشتدادها٠لكن الشعر الحر لم يسلم من استغلال الشيوعية والاتجاهات الحزبية الاخرى له ٠ بل انه سهل الطريق على كثير من المتشاعرين الذين راحوا يرصفون كلمات معينة مما يحويه قاموس الشيوعية السياسى والاقتصادى ، ويلتقطون الشعارات التى يهتف بها المتظاهرون او التى ينقشونها على شعاراتهم ثم يؤلفون من كل ذلك شيئا يسمونه شعرا نضاليا ، وما هو بالشعر ولا بالنضالى ، باية حال من الاحوال ٠

وفى وسع من يريد الشواهد على ذلك الرجوع الى دواوين الشعر الشيوعية التى صدرت فى الفترة الاخيرة ولعل ديوان عبد الوهاب البياتى المسمى « كلمات لا تموت » آخر ما صدر من تلك الدواوين ٠

ولا بدلنا ، فى هذا المجال ، من الاشارة الى ما كان للشاعر الانكليزى الكبير ت ٠ س ٠ اليوت وخاصة فى قصيدته « الارض الخراب » من اثر كبير على الشعر الملتزم فى الادب العربى الحديث ، الشيوعى منه وغير الشيوعى ، والردىء منه والجيد على السواء ٠

لعلى لا اغالى اذا قلت ان المدنية الاوروبية الحديثة لم تهج هجاء اعنف ولا اعمق من الهجاء الذى وجهه ت٠ س٠ اليوت اليها فى قصيدته «الارض الخراب» على كثرة ما هجا الادباء والشعراء الشيوعيون الجانب الراسمالى من المدنية الاوروبية المعاصرة ٠ وقد لقيت « الارض الخراب » من اهتمام النقاد ودراساتهم ما لم تلقه أية قصيدة اخرى٠ان الشيوعيين يعتبرون كل شاعر يهجو المدنية الحديثة لاسباب غير اسبابهم ، ومنطلقا من وجهة نظر غير وجهة نظرهم ، عدوا تجب محاربته ،ولم يال الشيوعيون جهدا فى محاربته ٠ بل ان مجلة « ساينس اند سوسيتى » الشيوعية الاميركية نشرت مقالا عن ت ٠ س ٠ اليوت ٠ نفت فيه عنه حتى صفة الناظم المجيد فى نظمه ٠

غير ان الشيوعيين مصابون ، وخاصة فى الناحية الثقافية ، بعقدة الشعور بالنقص ، وان شعراءهم ــ ليشعرون فى قرارة انفسهم ــ بالتضاؤل امام جبروت الشعر الاليوتى ٠ وقالوا لانفسهم ، ان تكتيك اليوت هو العظيم اما افكاره فرجعية ، استعمارية ٠ وعلى هذا اخذوا يقلدون تكتيك ت ٠ س ٠ اليوت مبدلين محتواه بمحتوى « تقدمى » كما يسمونه ٠

لست ادرى اذا كان الشعراء الشيوعيون فى الغرب قد نجحوا فى تقليد اليوت او لم ينجحوا ٠ اما الشعراء الشيوعيون العرب ، فقد قرأوا اليوت دون

ان يفهموه • كل ما عرفوه عنه انه يضمن قصائده ابياتا لشعراء آخرين فرنسيين او المان او انكليز • اما ما الذي يختفي وراء ذلك التضمين من عمق ، وما في ورود ذلك التضمين في موضع معين من تناقض يقصده الشاعر مع النص السابق له او اللاحق • فذلك ما لم يفهموه • عرفوا عنه انه يضمن شعره ابياتا لشعراء آخرين وانه يستعمل اللهجة الشعبية احيانا • وانه قد يلتقط حديثا سمعه في مقهى ، او حوارا سمعه في الشارع ، فقلدوه في ذلك • فاصبحت قصائدهم كانها جلباب متسول مرقع برقع مختلفة الالوان • هنا بيت يتحدث عن الربيع والخضرة وبعده مقطع من اغنية شعبية عن موت الكلاب من الجوع وبعده هتاف التقطه الشاعر من مظاهرة الى آخر هذا الخلط العجيب •

لكن هناك فئة اخرى من الشعراء العرب الشباب قرات اليوم وفهمته وتأثرت بروحه وتكتيكه على السواء لقد رأى هؤلاء الشعراء في « الارض الخراب » اعنف هجاء للمجتمع الراسمالي يتضاءل ازاءه كل ما هجاه به الشعراء الشيوعيون رغم ما في هجائهم من اقذاع وحقد ، ورأوا فيها ، من جهة اخرى ، هجاء للمجتمعات التي تخلت عن القيم الانسانية الحقة ، القيم الدينية الرفيعة وهو هجاء ينطبق لا على المجتمع الراسمالي وحده وانما ينطبق على المجتمع الاشتراكي – في الدول الشيوعية – ايضا • بل وينطبق الى حد ما على المجتمعات المريضة المتخلفة ومنها المجتمع العربي • لقد رأوا كيف استطاع شاعر غربي ان يفيد من رموزهم ، كرمز تموز واوزيريس فنبههم الى امر كانوا عنه غافلين •

وساعدت الظروف السياسية التي كانت البلدان العربية تمر بها ، حيث الارهاب الفكري وانعدام الحرية الى اللجوء الى الرمز ، يعبرون بواسطته عن تذمرهم من اوضاع بلادهم السياسية والاجتماعية على السواء وعن املهم في انبعاث جديد ينتشلها من موتها • هؤلاء الشعراء ملتزمون ايضا لكنهم يختلفون عن الشعراء الشيوعيين – وكلهم ملتزمون طبعا – في ان الالتزام الشيوعي مفروض على الشاعر من الخارج ، اما التزام هؤلاء الشعراء فنابع من داخلهم • وهم لا يتخلون عن الفن ولا يهبطون بشعرهم عن اعلى مستوى يستطيع كل شاعر منهم بلوغه ، في سبيل ان يفهمهم المناضل شخنوب ار الرفيق حسن الركاع او عجرش الزبال •

وتعرضت هذه الفئة من الشعراء الملتزمين التزاما حقا ، الى هجوم من اليمين واليسار على السواء فهي في نظر اليسار فئة تخدم مصالح البرجوازية والامبريالية ولا تفكر بالجماهير • وهي في نظر اليمين المتطرف ، فئة تحاول تحطيم الشعر العربي بالخروج عن اوزانه وطائق نظمه المتوارثة مدفوعة الى ذلك بدوافع شتى

اعظمها ما يغدقه عليها الاستعمار من مال ، وآملها ضعف ادواتهم الشعرية وقلة حصيلتهم من الالمام بالادب العربى القديم ٠

انه لامر مؤسف حقا الا يبلغ الشعر العربى المعاصر مستوى الواقعية كما عرفها الشاعر الانكليزى الكبير والناقد المبدع الموهوب ستيفن سبندر فى محاضرة له عنوانها « الواقعية والفن » ٠ وخلاصة تعريفه ذاك هو ان الواقعية الحقة هى تلك التى تمكن الشاعر او الفنان من تحليل مجتمعه تحليلا يحوى اكبر قدر ممكن من الحقائق ٠ ولا يهم ، بعد ذاك ، من اية وجهة نظر انطلق ٠ ولكن الحد الذى بلغه الشعراء التموزيون ــ فى الشعر العربى الحديث ، كان يبشر بمستقبل لامع لهم او للشعراء الذين سيسيرون على آثارهم على الاقل ٠

لكن يبدو ان الشعراء التموزيين اصيبوا بخيبة امل ٠ فاقلعوا عن الالتزام كانهم اتفقوا على ذلك ، وان لم يتفقوا ٠ يبدو هذا الاقلاع عن الالتزام والانصراف الى المشاكل الذاتية والشخصية بل وحتى افتعالها ، فى الآثار الاخيرة لاولئك الشعراء ٠ يتضح لنا ذلك فى ديوان يوسف الخال الاخير « **قصائد فى الاربعين** » وفى قصائد صلاح عبد الصبور الاخيرة ، وفى الديوان المخطوط **الذى يضم** آخر ما كتبه ادونيس وارى ذلك فى نفسى انا شخصيا ، فكاننى **تخمت مــن** الالتزام فانا اتفلت منه ٠

ولا اغلى اذا قلت ان نهاية الالتزام الحق فى الشعر العربى **المعاصر ستكون** حين ينتهى هؤلاء الشعراء منه ٠

اما من هو المسؤول عما اصابهم اهى مجتمعاتهم ام حكوماتهم ام الاوساط الادبية المختلفة فذلك ما نتركه للمؤرخين الذين سيكون لديهم الكثير مما يقولون ٠

ولعل ما يعاب به الادب العربى ، غلبة الشعر على فنون الادب الاخرى ٠ ما زال الشاعر يحظى بالمكانة الاولى بين ادباء العرب ٠٠ وما زال كل اديب عربى سواء أكان كاتب قصة ام مقالة ام كان ناقدا ، يطمح ان يصبح شاعرا او يتمنى ذلك فى قرارة قلبه على الاقل ٠ وعلى هذا الاساس فان المقاييس السائدة فى الشعر فرضت نفسها على فنون الادب الاخرى ٠ ما جدوى كتابة قصة او رواية عن عواطف النفوس مــن حب وبغض وحسد فى حين يكتب شوقى وحــافظ والرصافى قصائدهم عن دنشواى ، وعن الدستور ٠

لهذا كله كان الاتجاه الواقعى فى القصة اول ما عرفه الادب العربى منذ اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ٠

فى تلك الفترة كان لا بد من ظهور رواية (زينب) للدكتور محمد حسين هيكل التى استمد وقائعها من المجتمع الفلاحى · ولم يكن بد من ان يصدر طه حسين « الايام » مدونا فيه ذكريات طفولته فى الريف المصرى ومجتمع الفلاحين ، ثم « دعاء الكروان » ··

حتى حركة الترجمة تأثرت بالذوق الادبى الذى كان سائدا آنذاك · لقد وجد حافظ ابراهيم انه يؤدى واجبا شبيها بالواجب الذى يؤديه حين يكتب الشعر ، اذا هو ترجم رواية فكتور هوغو (البؤساء) فاضطلع بترجمتها بالرغم من عدم تضلعه باللغة الفرنسية · اما محمود تيمور وهو من رواد القصة القصيرة فى الادب العربى الحديث ، فهو تلميذ أمين للكاتب الفرنسى غى دى موباسان ، وبلغ محمود تيمور ذروة التمسك بالواقع والالتزام فى روايته (كليوباطره) فى خان الخليلى التى انحدر الحوار فيها الى مستوى التعليقات السياسية على الوضع العالمى والصراع بين الدول الديموقراطية والمحور · لكنه لم ينج من التأثر بالاتجاه الرومانتيكى كما يفهمه اكثر الادباء العرب فى كثير من آثاره · ان الرومانتيكية تعنى لدى اغلبية الادباء العرب وقرائهم التحدث عن البحث والجمال والطبيعة ولا شىء اكثر ·

يقول رئيف خورى فى كتابه (الفكر العربى الحديث) متحدثا عن تلك الواقعية المبكرة « ان ادباء العرب ومفكريهم وجدوا انفسهم امام قيم ومثل ومعقولات جديدة شاعت على الالسنة والاقلام ابان الثورة الفرنسية وتناقلتها الافواه والقراطيس فى الشرق العربى ، فقد طفق الناس يتحدثون عن الوطن والوطنية والامة والقومية والحرية والمساواة والحقوق الوطنية كنتيجة لتشبع اعلام الفكر العربى بمبادىء الثورة الفرنسية امثال أمين الريحانى واديب اسحاق حيث وجدوا فى تلك المبادىء ضالتهم وعرفوا فيها الدواء الناجع لادواء الشرق المزمنة · »

لكن الاتجاه الواقعى فى القصة سرعان ما اندحر امام الاتجاه الرومانتيكى الذى يمكننا القول بان مصطفى لطفى المنفلوطى كان رائده الاول او من اوائل رواده على الاقل ·

وظل الاتجاهان الواقعى والرومانتيكى فى القصة متعايشين دون ان يظهر من اى الاتجاهين اثر شامخ حتى طلع نجيب محفوظ بروايته الرائعة (خان الخليلى) التى كانت فاتحة عهد فى القصة الواقعية الرائعة ·

وفى خلال تلك الفترة لم تخل المكتبات العربية ولا الصحف من قصص واقعية

على الطريقة الشيوعية امثال قصص ذو النون ايوب ورواياته ، او من ترجمات للقصص والروايات الشيوعية كرواية « الام » لمكسيم غوركي التي تعاون على ترجمتها عدد من شيوعيي العراق عام 1934 ، وحوالي ذلك ٠

لقد سمى اديب شيوعي آخر ذوالنونايوب ب (المقاص) مشتقا الكلمة المزج بين المقالة والقصة ٠ ورغم ان مقاييس الادب الشيوعي ترى في القصة والرواية ارقى الفنون الادبية ، متحمسة لها اكثر حماسها للقصيدة او المسرحية لسهولة نشر الافكار الشيوعية عن طريقهمـا لم يستطع ذلك المفهوم ان يلقى رواجا في المجتمعات العربية ٠ ذلك ان الطبقة الكادحة وهي العمود الفقري لكل حركـة شيوعية اشد طبقات المجتمعات العربية جهلا ٠ ان تسعة وتسعين بالمائة من الفلاحين والعمال العرب اميون ، ولا يمكن ان يقرأوا قصة او رواية فتتسرب المفاهيم الشيوعية الى انفسهم عن طريقها ٠ كما ان من الصعب على المنظم الحزبي او رئيس الحلية الشيوعية ان يقرأ رواية « الام » لمكسيم غوركي مثلا ، على اعضاء خليته ٠

اما الشعر فامره ايسر ٠ في وسع الشاعر الشيوعي ان يلقي قصيدته في المحلات والاجتماعات، وفي وسع المنظم الحزبي او رئيس الحلية الشيوعية ان يتلو قصيدة « جماهيرية » على رفاقه في اجتماع حزبي او جلسة حزبية ٠

واذا خضع كثير من الشعراء الشيوعيين لمقاييس النقد الشيوعي فان اشباح دستويفسكي وجيمس جويس وفولكنر ظلت هي المسيطرة على نفس القصاص الشيوعي وهو يكتب اقصوصته أو روايته ٠ نجد ذلك واضحا للغاية في انتاج القصاص العراقي عبد الملك نـوري ، المحسوب على الشيوعيين ٠ انـه يؤكد ، اغلب الاحيان ، على اهمية المونولوج الداخلي وتهاويل اللاوعي ٠ ولعل هذا من بين الاسباب التي ادت الى عدم صعود نجمه في فلك الادباء الشيوعيين العرب ٠

وحين ارتقى مد الحركات الشيوعية في البلاد العربية ، في اعقاب الحرب العالمية الثانية ، عمت جو الادب العربي موجة من القصص الواقعي او « الملتزم » واذا ما تذكرنا الطريقة الشيوعية في كتابة القصة القصيرة او الرواية ، ادركنا اي نوع من القصص والروايات هو الذي عم وساد ٠ لعل انجح ما صدر من تلك القصص والروايات ذات الطابع اليساري ، بل هـو انجح بالفعل ، كتـاب « المعذبون في الارض » للدكتور طه حسين والقصص التي نشرها مارون عبود في مجلة الطريق الشيوعية في لبنان ٠

وما لبث جـان بول سارتر ان اطلق دعوته الى الالتزام فوجدت تلك الدعوة صدى لا فى اوساط الادب الشيوعى ـ الذى هو ملتزم منذ البدء ـ وحسب وانما فى اوسط الادب القومى ايضا • فكثرة القصص التى تتحـدث عن النكبـة الفلسطينية وعن كفاح الجزائر • ان احسن ما كتب فى هذا الموضوع دون منازع هو قصتان قصيرتان كتبتهما السيدة سميرة عزام ، الاديبة الفلسطينية ونشرتا فى مجموعتها «••• وقصص اخـرى» وتليهما فى الجـودة بعض القصص التى كتبها الدكتور عبد السلام العجيلى ، حول موضوع فلسطين ذاته •

اما الروايات التقدمية الملتزمة فلعل « قصر الشوق » للكاتب العربى الكبير الاستاذ نجيب محفوظ احسن ما صدر منها • وقرأت ، وسمعت كثيرا من الثناء على رواية الفها الاستاذ مطاع صفدى « من ادباء الاقليم الشمالى من الجمهورية العربية المتحدة وسماها « جيل القدر » لكنني لم اقرأ الروايـة ذاتهـا غير انى سمعته من ناحية اخرى يهاجم على تلك الرواية من قبل بعض الفئات الحزبية •

هذا عن القصة • اما عن المقالة فلم يرتفع الى مستوى الادب الا القليل من المقالات الملتزمة • ولعل مقالات عمر فاخورى ـ وهو شيوعى ـ من احسنها • ويجب ان لا ننسى بعض المقالات التى كتبها الدكتور طه حسين وعالج فيها كثيرا من الامور السياسيـة والاجتماعيـة •

ولم يعرف العرب المسرحية الملتزمة التى ترتفع الى مرتبة الادب • لقد الف الشيوعيون كثيرا من المسرحيات « الملتزمة » حسب مفهومهم للالتزام ـ لكنهم كتبوها باللغة العامية •

هذا هو الادب العربى الحديث فى التزامه وعدم التزامه • يحتل الشعر مكان الصدارة منه وتقف المسرحية فى المؤخرة • فيه نوعان من الالتزام : الالتزام الشيوعى وكلكم تعرفون ما هو « الالتـزام » عنـد الشيوعيين • اولى بهم ان يسموه « الزاما » والالتزام القومى الحزبى وهو لا يختلف عن الالتزام الشيوعى الا فى بعض التفاصيل • ثم الالتزام اللاشيوعى اللاحزبى ، النابع من نفوس الادباء لقد قدم ادباء هذه الفئة نماذج رائعة من الادب الملتزم لكنهم انحدروا فى المجتمع الذى يسيطر عليه التعصب الحزبى الى حد الجنون •

مطالعات

مجلة معهد المخطوطات العربية
المجلد السادس ، الجزءان الاول والثانى
(مايو ـ نوفمبر 1960)

بقلم : محمد الطالبى

لقد ورد علينا العدد الاخير من مجلة معهد المخطوطات العربية وهو عدد مايو ـ نوفمبر 1960 • وهذه المجلة التى يصدرها معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية من شأنها ان تصدر مرتين فى كل سنة : فى اول مايو واول نوفمبر • فهذا العدد الذى نريد ان نعرف به قراء الفكر هو اذن عدد مزدوج •

وهذه المجلة لا ترد علينا بانتظام ، واننا كنا رغبنا فى الاشتراك فيها ، وكاتبنا ، فلم نجب • واذا ما رغبنا فى الاشتراك فيها فما ذلك الا لتقديرنا لها ، وتقديرنا لها هو الذى يجعلنا اليوم نلفت نظر قراء الفكر اليها ، ونبدى بعض الملاحظات فى شأنها ، فى صراحة واخلاص •

قد ورد هذا العدد ، كالاعداد السابقة من هذه المجلة ، مشتملا على بحوث شتى فى شأن المخطوطات • تجد به معلومات متنوعة عن المخطوطات العربية بتشيكو سلوفاكيا ، وبالكاظمية فى العراق ، وبمكتبة روضة خيرى بمصر ، وبمكتبة ملك التجار بطهران ، وبمكتبات ايران والاتحاد السوفيتى ، كما تجد به ايضا تعريفا برحلة ابراهيم الخيارى « تحفة الادباء وسلوة الغرباء » ، وبثلاثة مجلدات من « كتاب الشامل » لابن نفيس ، وبمخطوطة جديدة من « انساب الاشراف » للبلاذرى ، عثر عليها بمكتبة القلاوى المغربى • وبهذا العدد ايضا نقد لبعض المخطوطات العربية طبعت حديثا ، و « معجم ما نشر من المخطوطات العربية خلال عام 1959 » ، وهو معجم ما نخاله مستوعبا ، وبه فصول نشرت من كناش اسماعيل المحاسنى الدمشقى ، ومن « نثير الجمان فى شعر من نظمنى واياه الزمان » لابن الاحمر •

والذى يلاحظ فى شان كل هذه الدراسات هو انها ليست على وتيرة واحدة فيما يخص الدقة العلمية والجد فى البحث •

فبعض البحوث فى شأن المخطوطات اتت مزورة ازورارا عن كل قواعد

البحث العلمي بالاطلاق ٠ وليس ادل على هذا من المقال الذى صدرت به المجلة والذى خصه كارل بتراشك بالمخطوطات العربية فى تشيكو سلوفاكيا ، مخطوطات قليلة لا تستحق الصدارة ، لم يزد الكاتب عن اثبات قوائم لها ، عارية من كل وصف ، مجردة احيانا حتى من الرقم ٠ فهل محل هذا المقال فى صدر مجلة علمية فنية اختصاصها المخطوطات ؟

غير انك تجد ايضا فى غضون المجلة البحث الجدى المستوعب فى شأن المخطوطات٠ فنقد اعطى محمد الفاسي موضوعه حقه وزيادة عند ما قدم لنا رحلة ابراهيم الحيارى « تحفة الادباء وسلوة الغرباء » ، وكذلك فعل محمد حميد الله فى بحثه الطويل (من ص 211 الى ص 288) الذى عقده لكتاب من اهم الكتب العربية ، « انساب الاشراف » للبلاذرى الذى قد سبق ان حقق وطبع الجزء الاول منه احسن طبع٠ ويجدر بنا ان نثنى ثناء لا احتراز فيه على هذا الباحث الذى لم يدخر جهدا فى سبيل الخروج من عمله على احسن وجه ٠ فلقد سافر الى المغرب واقام بالرباط زمنا من اجل كتابة مقاله٠وقد اتيحت له هكذا فرصة درس المخطوط على العين ، ومقابلته بنسخة استانبول ، وبالجزء الذى طبعه عنهذه النسخة ، مستنتجا من كل ذلك نتائج مفيدة جدا مثبتا الاختلاف والاصلاح ولقد اقترح الباحث اثناء بحثه ان تثبت المجلة صورتى صفحتين من المخطوطتين بعث بهما اليها ، فلم تفعل ، ولا ندرى لم لم يلب اقتراحه ، لا سيما وان المجلة لم تبخل باثبات صور اخرى عديدة

ولنا ملاحظات اخرى فيما يخص الفصول التى استخرجت من المخطوطات ، وحققت ، ونشرت بهذا العدد من المجلة ٠

فكامل هذه الفصول ـ وان نشرت فى مجلة علمية فنية ـ خالية تماما من كل جهاز نقدى ٠ وهذا غريب من مجلة تريد ان تكون قدوة بها يقتدى واسوة حسنة بها يؤتسى ، ثم انه ، ان كان « الباب الثالث فى شعر ملوك بنى الاحمر من بنى نصر وابنائهم » الذى استخرجه خوسه باسكث (José Vasquez) من مخطوط « نثير الجمان فى شعر من نظمنى واياه الزمان » من تاليف الامير اسماعيل بن يوسف بن القائم بامر الله محمد بن الاحمر، على ما يظهر،قد اتى سالما حسب الظن والتخمين ، يقرأ مهما كان الامر فيفهم ، فالامر بالعكس تماما بالنسبة للصفحات من تاريخ دمشق فى القرن الحادى عشر » التى استخرجها صلاح الدين المنجد من كناش اسماعيل المحاسني ٠ فانك تقرأ هذه الصفحات فلا تكاد تفهم شيئا مرارا، او انك تجد نفسك مجبورا على التقويم والاصلاح فى كل لحظة عساك تفهم ٠٠٠ كانك تعالج مخطوطا ٠ وياليت الناشر ، عوض هذا

التحقيق ، اعطانا صورا شمسية لهذه الفصول ، لان صورة المخطوط قد تهدينا الى القراءة الصحيحة التى لا يهدينا اليها النص المطبوع • وانه لا يسعنا هنا ايراد كامل الاخطاء الواردة فى الصفحات المستخرجة من كناش المحاسنى لانها اكثر عددا من ان يسعها الاحصاء والاستقصاء اذ هى لا تكاد تخلو منها صفحة قط ، ولكن يمكن ان نذكر نماذج منها •

فى الصفحة الاولى ــ صفحة 80 من المجلة ــ نجد :

« وسافر معه كتخدا المرحوم الحاج عثمان » : فما معنى « كتخدا » ؟ ان هذه الكلمة تحتاج الى تعليق او تقويم

« ثبت بالريا أول ذى الحجة سنة 1081 يوم السبت فى الشام » ، والصواب « ثبت بالرؤيا اول ••• »

« ابيعت غرارة الحنطة باربع قروش » ، والصواب « بأربعة قروش » والذى يلاحظ أن المحقق اورد فى السطر الذى يليه التعبير صحيحا «•••والارز بستة ونصف ، والزيت الطفاح بخمسة عشر قرشا »

وفى نفس هذا السطر لا تكاد تقرأ الا كلمات قليلة حتى تقع على خطأ نحوى فلقد اثبت المحقق « والسمن البقرى مائتين وثلاثين قرش » والصواب : « مائتين وثلاثين قرشا »

وبعد نصف سطر تصل الى كلام غير مفهوم ، وهو : « وكان باشا الشام الوزير ابراهيم باشا يانى دفراد وباشاه سابقا ، والقاضى محمد افندى الهى زاده ، والمفتى •••» فهذا كلام غير مفهوم ، يحتاج الى التعليق او التقويم او الى كليهما معــا •

وفى الصفحة الثالثة ــ صفحة 83 من المجلة ــ نجد :

« ثم توفى فى يوم الجمعة سادس عشرى شع المذكور » ، بدون تعليق •

وبعد سطرين ، « وكان توجه حسين باشا من الشام يــوم السبت II شع المذكور » ، بدون تعليق ايضا •

وفى السطر الذى يلى : « تــولا قضاء الشام بعد مسعــود افندى •••» والصواب : « تولى •••• »

وفى السطر الذى يلى : « وصار نائب ما بين له مولانا احمد افندى ••• » ، فهذا كلام يحتاج الى تعليق او تقويم •

ونلاحظ عرضا ان المحقق يثبت تارة الهمزة ويهملها تارة اخرى بدون مبرر فقلد اثبت الهمزة مرة واهملها اخرى فى سطرين متواليين وفى كلمة واحدة ، وهى كلمة « افندى » ، الواردة برسمين مختلفين فى المثيلين السابقين ·

وفى الصفحة الرابعة ــ صفحة 84 من المجلة ــ نجد :

« الى عند قوله تعالى فى سورة مريم (ذلك عيسى ابن مريم قول الحق) · وكان آخر ما تكلم عليه قوله تعالى : (والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) · فهل من سبب دعا المحقق الى شكل بعض الآية الاولى وترك البعض ، والى اهمال الشكل تماما فى الآية الثانية ؟ والغريب هو ان المحقق صاحب مقالة ، نشرها فى العدد الاول من هذه المجلة ، ووضع فيها قواعد تحقيق النصوص ·

وفى الصفحة الخامسة ــ صفحة 85 من المجلة ــ نجد :

« جعل الله قدومه خير » والصواب : « خيرا »

وفى الصفحة السادسة ــ صفحة 86 من المجلة ــ نجد :

« واعطاه عرض بذلك » ، والصواب : « عرضا »

« ثم جاءته براوة بالخطابة تجديد للاولى » ، والصواب « ثم جاءته براءة بالخطبة تجديدا ··· » ، وقد وردت كلمة « البراءة » صحيحة فى نفس الفقرة بعض اسطر فيما قبل ·

وفى الصفحة السابعة ــ صفحة 87 من المجلة ــ نجد :

« الى محل يقال له ير الاغراص ليجاهد ··· » ، ولعل الصواب : « الى محل يقال بئر الاعراص ··· »

والذى يتبادر الى الذهن هو ان المحقق اراد ان يثبت النص كما ورد بالمخطوطة ، لانه ورد بخط المؤلف نفسه · غير ان هذه القاعدة غير صحيحة اذا ما طبقت هذا التطبيق واصبحت ذريعة لعدم ضبط النصوص بصفة تجعلها مفيدة نافعة · فلم الحواشى ان لم تكن لاثبات روايات المخطوط التى لا يمكن ان تثبت بالنص الا وافسدته وحالت دون الاستفادة منه ؟ ثم ان القاعدة فى الحقيقة هى ان تثبت النص كما اراده المؤلف ، لا كما صادف ان تسربت له اخطاء ــ ولا عصمة الا لله ــ لم يقصدها المؤلف ، ولكان اول من حذفها لو وجد من نبهه اليها · الذى يجب ان تثبته هو ما اراده المؤلف وقصده واعيا مختارا ، لا ما سبق قلمه من اخطاء وقع فيها سهوا او جهلا ·

وبعد فقد قوم المحقق النص ، فلقد اضاف حرف « لا » فى عبارة : « ... من الاكرام ما (لا) يمكن التعبير عنه » ص 86 ، وكلمة « الله » فى عبارة : « ليجاهد فى سبيل (الله) فامتثل » . فلم قوم البعض وترك البعض ؟

انه يعسر علينا أن ننبه الى كل الاخطاء التى لا تحصى كثرة . وكل ما نستخلصه من مطالعتنا الى الصفحات التى استخرجها منكناش المحسنى صلاح الدين المنجد والتى توجد بالمجلة من صفحة 80 الى صفحة 138 ، هو ان الناشر لم يجهد نفسه فى تحقيقها . ان ما قام به من عمل يستطيعه كل من استطاع تسليم مخطوط ، مع أجرة الطبع ، الى صاحب آلة طابعة .

وبصفة عامة فان التحريف والاغلاط المطبعية كثيرة فى هذا العدد من مجلة معهد المخطوطات العربية الذى حاولنا تحليله والتعريف به . فانك تقرأ (ص 203) : « تشتمل مكتبة لاين الطبية ، بجامعة ستانفورد فى كاليفورنيا على مجموعــة ... » ، والصواب : « تشتمــل مكتبة .. عــلى مجموعــة .. » ، ومثل هذا كثير .

ومهما يكن الامر فهذه المجلة يمكن ان تعتبر محاولة طيبة من الناحية العلمية نرجو لها ان تسير فى سبيل الرقى والتطور حتى تصبح يوما ــ قريبا ان شاء الله ــ فى مستوى اسمى النشريات العلمية العالمية . فهى تقوم ، فى سبيل بعث تراثنا والتعريف به ، بخدمات جليلة . ومما يجعلنا نتفاءل ونأمل لها اكثر نجاحا فى المستقبل هو أن لها امكانيات مادية عريضة ، لانتمائها الى الجامعة العربية ، امكانيات منشأنها ان تضمن لها هذا النجاح اذا ما استخدمت احسن استخـــدام .

انتظـروا العــدد الخـاص بـ

الشعــر الـعربى المعــاصر

ندوة القراء

أدب الشعب والحيـــاة

لست اديبا « محترفا » حتى « اقيم » الحركات الادبية فى الوطن العربى ، للتعرف على حقيقة وواقع الادب العربى المعاصر • وانما حسبى ان اعيش مع شعورى وافكارى «حياة ادبية» خالصة تمكنني‌هذه ــ على‌الاقل ــ من‌التعرض‌الى بعض « الجوانب » من الادب المعاصر ، ومن تسليط بعض الاضواء الكاشفة عن تياراته وحقيقة وجوده • ادبنا العربى اليوم ، مما لا شك فيه ، كائن حى ينمو ويتكامل بتكامل الوعى القومى والانسانى فى العالم العربى ، اعتبـارا منه ان حياة الانسان فى المجال القومى ، تمثل جانبا انسانيا لا يمكن ان ينقطع عن الجوانب الانسانية الاخرى فى العالم •

ومع اننا لم ندرك هذه الحقيقة فى ادبنا العربى المعاصر ، كامل الادراك فان « ومضات » من شعورنا وتفكيرنا وادبنا ــ ككل ــ ترمز الى استضاءة هذا الجانب المتارجح من الشعور الانسانى الفياض • بعـد ان اقتنعنا « الاقتناع النفسى » بجدارة التعمق فى المعانى الانسانية الزاخرة بها ــ حياة الشعب ــ فى البلاد العربية ، والتى تجعل من الادب العربى المعاصر يلتحق ، او يحاول ان يلتحق بركب الادب العالمى • ايمانا منا ان « القطيع الضائع » لا بد ان يجد يوما طريقه فى الحيـاة ، وان فترة التأرجح بين شتى المـذاهب الادبيـة من رومانسية الى واقعية الى‌عاطفية الى‌التزامية، ومن‌رجعية الى ثورية، وما «اجتره» الادب العربى من هذه المذاهب ولم يهضمها •

ان هــذه الفترة التى كان فيهـا الادب العربى ضائعـا تائها متعاليا عما تحاول ان تمده به « حياة الشعب » بمآسيها واحزانهـا وافراحها وفقرهـا وتـأخـرهـا •

ان هذه الفترة « الضائعة » من ادبنا العربى المعاصر قد تكشفت عن حقيقتها للاديب العربى، واضحة المعالم، تدعوه الى « ثورة انسانية » كبرى‌فاستجاب لها بواقع ثقافته التى اخذت ــ تتسع وتتعمق ــ فعاش الادب العربى فى « بنزرت » الخالدة حياة المعارك ودخلها ــ غير مقيد بالسلاسل ــ وعاش من قبلها الثورة العربية الانسانية الكبرى فى « الجزائر » وما زال يعيشها ، وفى عمان وبور سعيد وفى كل جزء من اجزاء الوطن العربى الكبير •

وفى انطلاقة الادب العربى المعاصر ، هذه الانطلاقة الانسانية الكبرى فى مجال الحياة الكريمة . كانت « حياة الشعب » او ـ الشعب والحياة ـ هى رمز اندفاعنا ونهضتنا الادبية المعاصرة فى انطلاقة حـرة كريمـة ، وفى ادب حى انسانى طليق يفرض نفسه فى الوجود ويحتل المكانة اللائقة بـه فى مجـال الادب العالمى المعاصر .

وحتى لا نضيع ضياعنا الاول فنتيه ، على الادباء ، ان يهضموا هذه الحقيقة الجديدة خير هضم وان يمدوها من ارواحهم بالحياة النابضة بعيدا عن الكذب والنفاق والمراوغة ، والتقيد بما تفرضه وتحتمـه فى بعض الاحيـان ، الحياة السياسية أو الاجتماعية او الاقتصادية من « تسخير » وانتهازية تبعدنا عما يسعى اليه الادب العربى المعاصر من مكانة واكتمال .

محمد الامين خلفه
ـ استاذ بالمعهد الصادقى ـ

فى اعـدادنـا القـادمـة :

المصاهرات بين تونس والعراق ـ بقلم : حسن حسنى عبدالوهاب
الأبـوة الـروحية ـ بقلم : البشير الـزريبى
ادباؤنا وواقعنا الادبى ـ بقلم : الهادى العـامرى
بنزرت اومصرع النسيان ـ بقلم : البشير المجدوب
أسطـورة مـوجـة ـ بقلم : رشيد الغـالى
نفائس المكتبة النورية بصفاقس ـ بقلم : محمد محفوظ
صـــراع ـ بقلم : محمد الغـورى
بـاب العـرش ـ بقلم : محمد رشاد الحمزاوى
ادباؤنا والاديولوجات ـ بقلم : الطاهر وطار
مع ابن حمديس الصقلى ـ بقلم : آمبرتو ريزيتانو
نـوفمبـر ـ بقلم : صالح الخرفى
أريـان ـ بقلم : جعفـر ماجـد
من وحى ذكرى الهجرة ـ بقلم : الشاذلى عطاء الله
اللغـز الضامىء ـ بقلم : نور الدين صمود
يوميات شاعـر ـ بقلم : محمد لنـدة
نشيد الليـل ـ بقلم : سعد الغزال
اللحن الساحر ـ بقلم : احمد البخترى
عيد الغريب ـ بقلم : محمد الحبيب الهيله
هيـا نمش ـ بقلم : على حرز الله
من مشاكل التعليم ـ بقلم : صالح بشير
لـولاك ـ بقلم : محمد الأمين ابو حامد
ريـح العـدم ـ بقلم : محسن بن حميدة
هـديـة ـ بقلم : عـلى عـارف
وآنتـاج كثير فى بـاب « بـريد القـراء »

أصداء الفكر

• نشيد الموت

قال « مت سليمان العيسى » !

ومد الى الجريدة فقرات : «... وفى صوت واحد انطلقت الحناجر تردد نشيده المعروف : من المحيط الهادر الى الخليج الثائر ! ولم تكتف الجماهير بذلك بل حملته وراح هو يردد بصوت مختنق والدموع تغسل وجهه كلمات النشيد ... وتلقى سليمان الطلقة الاولى وسقط على الارض وتبعثرت اصول الديوان وامتزجت بدمه ! »

فالى روح سليمان العيسى الذى عاش شاعرا ومات شاعرا

ج . م .

(من المحيط الى الخليج
من المحيط الهادر
الى الخليج الثائر)
نواح شعب حائر
علمته كيف الرغاب تغتصب
وسرت فيه كالنبى المرتقب

وقفت فيه منشدا والدمع منك ينهمر
كانوا حيارى شردا تمردوا على القدر
رأيت جيشا أسودا به عدوه غدر
فبعثرت أحلامه
ونكست أعلامه
من المحيط الهادر
الى الخليج الثائر
نواح شعب حائر
علمته كيف الرغاب تغتصب
وسرت فيه كالنبى المرتقب

سمعته مناديا يقوده أنينه
دماؤه فى كفه وليس من يعينه
فقلت : يا دنيا اشهدى ! لا عاش من يخونه
فسار خلف الشاعر
مثل اللهيب الطافر
من المحيط الهادر
الى الخليج الثائر
نواح شعب حائر
علمته كيف الرغاب تغتصب
وسرت فيه كالنبى المرتقب

وزمجـرت حنـاجـر تفجـرت بالغضب
وصفـرت رصـاصة فى صـدرك الملتهب
فقلت : مـا اشهى لظى رصـاصة من عـربـى

لا أشتكـى العطب
فـالمجـد للعـــرب
مـن المحيـط الهـادى
الى الخليـج الثـائـر
نـواح شـعـب حـائـر

علمتـه كيـف الرغـاب تغتـصـب
وسـرت فـيــه كالنبـى المرتـقـب

جعفـر مـاجد

• مهـرجـان الشعـر الثالث (خاص بمجلة الفكر)

(دمشق من 23 ـ 28 سبتمبر 1961)

جريـا على السنة التى سنهـا المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب باقامة مهرجان سنوى للشعر ، أقيم فى مسرح معرض دمشق فى اواخر سبتمبر المهرجان الثالث للشعر ، والاحتفال بذكرى الشاعر البحترى ، وهو احتفال تقليدى باحد الشعراء الافذاذ القدامى يندرج فى برنامج المهرجان ، اذ تخصص الايام الاربعة الاولى للقصائد ، واليومان الاخيران للاحتفال باحد الشعراء القدامى دراسة وتحليلا لتراثه ، بالقاء محاضرات ، وقصائد ، ونماذج شعرية من نتاجه .

وفى مسرح معرض دمشق احتشد الجمهور الدمشقى بجنسيه فى تلهف وتطلع الى المنصة التى الفـوا آلالتفاف بهـا كل سنة ، منشدين عليها ، او متلقين منهـا وبين ارجـاء الفيحاء المثلجة بنسمات الخريف ، وتحت عدسات التيلفزيون والمصورين وميكروفون الاذاعة افتتح المهرجان بكلمة السيد رئيس المجلس . ثم كلمة الاستاذ العقاد القاها بالنيابة عنه الشاعر صالح جودت ، ثم كلمة الدكتور شفيق جبرى بوصفه مقـررا عامـا للجنة الشعـر بالاقليم الشمالى . (آنذاك)

وتوالى بعد ذلك الشعراء العرب على المنصة وقد شاركت الاردن والجزائر وفلسطين والعـراق والكويت واليمن وتخلف المغـرب وتونس مع ان الدعوة وجهت اليهما على ما يبدو .

ومن غير شعراء الدول الشقيقة القى الاستاذ صالح جودت قصيدته (الاقليم الجنوبى) والشاعرة عزيزة هارون والدكتور عزة الطباع (الاقليم الشمالى)

ونستطيع ان نقول ان كلمة الاستاذ العقاد وهو المقرر العام للجنة الشعر بالمجلس ، وقصيدة الاستاذ جودت ، هما اللتان صبغتا المهرجان بصبغة معينة

من اليوم الاول ، ووضعنا عليه عنوانا مثيرا :(المعركة بين القديم والحديث فى الشعر) وهى معركة تقليدية فى ابطالها فى كل مهرجان، غير انها تميزت فى هذا المهرجان واتخذت شكلا جديا بالموقف المتصلب الذى عبر عنه الاستاذ العقاد بكلمته ، وجودت بقصيدته وقصة العقاد فى ذلك سابقة للمهرجان ، تعود بنا الى قصيدة كان الشاعر المجدد احمد عبد المعطى حجازى نشرها فى الصفحة الادبية من جريدة الاهرام ، يتهجم فيها على العقاد وآرائه فى الشعر الجديد فى اسلوب يتسم بغير قليل من الجرأة والتطاول على عملاق الادب العربى، بل تجاوز ذلك الى اعتبار العقاد دخيلا على العصر ، ومتطفلا عليه ، فهو بضاعة عتيقة من المفروض ان تكون مطوية الصفحات (تعيش فى عصرنا ضيفا ، وتشتمنا ؟)

والبضاعة ليست عتيقة فحسب ، ولكنها مزيفة وجوفاء :

يـا مـن يحـدث فـى كـل الامـور ، ولا

يكـاد يحسـن أمـرا ، أو يقـربـه

ومبالغة فى تحدى العقاد ، فقد كتب حجازى قصيدته على الوزن والقافية اللذين يتهم العقاد المجددين بعجزهم عن الخضوع لهما .

لكن العملاق لم يكلف نفسه عناء الالتفات الى القزم المتطاول ، فقد كفاه مؤونة ذلك تلاميذه وانصاره ، حتى قال بعضهم :

هـزك الطيش ، فـاتئـد يـا حجـازى

قـد رمـاك القـضـاء بنـقـرة بـاز

واسرها العقاد فى نفسه لليوم الموعود ، وهو يوم المهرجان ، فانه لما سمع للشاعرين صلاح عبد الصبور وعبد المعطى حجازى وهما متزعما حركة التجديد لما سمع لهما بالمشاركة فى المهرجان بعث العقاد باستقالته من سكرتارية لجنة الشعر فى المجلس ، احتجاجا على السماح لشاعرين عرفا بمواقفهما المشينة والمسيئة للادب العربى ، بالمساهمة فى مهرجان يقام لصيانة الادب العربى

وتصرف الاستاذ يوسف السباعى تصرفا لبقا فى الموضوع. فارضاء للعقاد واستبقاء له فى لجنة الشعر ، اومأ الى حجازى بالتخلى عن القاء قصيدته بدعوى المرض ، وارضاء لانصار التجديد الذين كانوا وراء المعركة دعا عبد الصبور لالقاء قصيدته التى اشترط ان تكون تقليدية وبمعنى اصح تجرى على الوزن والقافية التى اشترط ان تكون تقليدية وبمعنى اصبح تجرى على الوزن والقافية .

هذا موقف من الاستاذ العقاد ، عززه من استماتة نصيره فى النظرية الشاعر

الكبير صالح جودت ، فقد القى قصيدة عصماء ، كال فيها للشعراء المجددين ما شاءت له الشاعرية الملهمة وحسن التعبير، وتجاوز العقاد فى قسوته عليهم، بأن ادعى بانهم شعراء حمر ٠ ومـا هم الا دسيسة شيوعية للعبث بالفصحى التى هى قوام العروبة وامجادها ٠

وهكذا احتدمت المعركة وامتاز كل فريق بانصاره ، وكان فى صف العقاد مفدى زكرياء ، ومحمود غنيم ، ووراء حجازى وعبد الصبور جمع من الشباب المتحمس الذى كان يشرف على الصحافة ، فدخلت هى بدورها المعركة ، وطغى الموضوع على كل ماعـداه فى المهرجان ، وحتى اليوم ، وقد مر على المهرجان ما يقرب من شهرين لا تزال شظايا المعركة تتطاير فى الصحف القاهرية والدمشقية

ولعل الفرصة تسنح لنا لدراسة الموضوع دراسة نقدية تحليلية ، وذلك ما لم تتسع له هذه الكلمة التى لم نتوخ من ورائهـا الا اعطاء صورة عامة وخاطفة عن المهرجان لقراء الفكر ٠

صالح الخرفى

◆ **اضواء على الادب العربى المعاصر**

ننقل فى ما يلى مقالا لمراسل « الاداب » محى الدين صبحى بعنوان «الاستهتار والهاوية ٠٠ » حتى يطلع قراؤنا على جانب من واقع الادب العربى المعاصر :

هناك ظاهرة خطيرة ينحرف اليها نتاج الشبان فى هذه الفترة ، وتـؤكدها مواقفهم وتصرفاتهم وتصريحاتهم فى الصحف ٠٠ ويحددها سلوكهم اليومى وخلقهم الشخصى وعلاقاتهم بين بعضهم وبعض او بينهم وبين القراء ٠ ٠

هذه الظاهرة هى « الاستهتار » اى تجاوز كل الحدود المالوفة او المستوردة فى الحياة الاجتماعية عامة والحياة الادبية خاصة٠وهذا التجاوز يكون عفويا تارة ومقصودا فى احيان اخرى ، الا انه لا ينبىء عن استشراف قيم جديدة ، ولا يحتوى دعوة الى حياة افضل وانما هو رفض لكل ما هو قائم واستهتار بكل الاسس الثقافية والحضارية التى تسير عليها حياتنا الفكرية ، ثم الاقتناع بهذا الهدم والقعود عما سواه ـ ولعل فى كلمة « هدم » بعض الاسراف فى التعبير فموقفهم على وجه التحديد هو التخلى عن كل القيم جديدها وقديمها انهم خارج القيم ، يقفون موقف المتفرج الاعزل ، ينتظرون انهيار القديم من تلقاء نفسه ونشوء الجديد من تلقاء نفسه ايضا وبمعجزة ، اما هم فلا دخل لهم فى شىء واذا تساءلت عن مادة كتابتهم فهى الالفاظ ، ولا شىء غير ذلك ولا يبقى امام الباحث الذى يقرر حقائق الامور الا ان ينظر بعين العطف والتأييد لمن يهدمون

دون ان تكون عندهم الجرأة على البناء ، فهؤلاء وان كانوا يخبطون خبط عشواء فانهم قد يصيبون موطن الداء ولو عن طريق الصدفة

« والاستهتار » لا يقتصر على الموقف العام من الحياة والمجتمع ، انه يتجلى فى الجرأة على الادب والقراء واللغة ، بـل حتى على الحجـارة والحبر والورق انهم يصفعون كل قاعدة ويبصقون على كل قيمة ويهزؤون بكل احترام للذات او للاخرين . . . . فقد كتب احدهم « للحب طريقين » دون ان يرى فيها سبة لنفسه وللغته ، و « لطش » احدهم قصة ستيفان زفايغ « رسالة مـن امـرأة مجهولة » .. لطشها بكل تواضع - وحسن نية ... ونشر احدهم ديوانـا جاء فيه :

خذها ، تحس بـ « كبت جنسى » فى عمقها ورغابها . .

وتفضل شاعر آخر فنشر ديوانا ، خلط فيه بين الموزون وغير الموزون ، وقال كلاما يعاتب فيه حبيبه ، منه :

اتراه نسى
حبنا . . وقسا
وأنا هاهنا . . . فى انتظار
ومرت مـرارا ليالى جفـاه . .
واسمرى الحلو . . لا يبسم
ومات ابتهال . . والف صلاه
ولم يبسم لى . . الا يرحم ؟

وفى هذا الديوان صفحات كاملة ملاها الشاعر بالنقاط دون ان يضع تحت النقط حروفا ، فجاءت من ابلغ ما كتب ونامل ان تكون دواوينه القادمة صفحات من النقط فقط .

واذا تركنا مجموعات « القصص » ودواوين « الشعر » واستعرضنا مواقف الكتاب من انتاج بعضهم وبعض لها لنا ما نجد من تطرف وادعاء عريض . فأما ان ينظر كل الى نتاج الاخر نظرة تقديس واجلال ، واما ان يقذفه بتهمات شتى اقلها انه يترجم انتاجه عن لغة اخرى ، او انه يستعين فى انتاجـه بمساعـدة غيره . . وهكذا يسمح كل كاتب لنفسه ان يلغى شخصية غيره بثقة وبساطة وهدوء . . فالكلام عندهم رخيص ، والمناقشة ممنوعة وهؤلاء الذين يثورون اذا مسهم النقد بما لا يرضون ، يخرسون تمام الخرس تجـاه كل الظواهـر الرجعية التى تهدد حياتنا الاجتماعية وحريتنا الاجتمـاعية . . فقـد تسلط

الجامدون ورجال القرون الوسطى على وسائل النشر ، واخذوا يمارسون « التبشير » من جديد وهم يهاجمون الاختلاط بين الجنسين ويدعون الى الحجاب وينادون باغلاق السينما ويزعمون ان كبت العواطف فضيلة وان حيازة الرجل لحريم فيه الكثير من النساء ، هو فضيلة ايضا

كل هذا يجرى دون ان يتحرك قلم او يثور ضمير لاى من الكتاب الشبان او الشيوخ كأن الامر لا يعنيهم من قريب او بعيد ٠٠ وما لهذا الموقف الصامت من تعليل سوى انقطاع الروابط بين الاديب والمجتمع من جهة وبين الاديب والثقافة من جهة اخرى ، فالكاتب لا يهمه الا وضعه الشخصى كل لحظة بلحظتها فهو قد فقد التفكير حتى فيما يتعلق بمصيره الشخصى ٠ انه محدود ضمن برهة ضيقة ، هى رواج كتابه فى الاسبوع الذى وزع فيه فقط ٠٠ ومن بعد ذلك الطوفان على الادب والقيم والادباء والتراث

ومن هنا نلاحظ فقدان حرمة المؤسسات الثقافية فى نفوس الادباء فلا يتورع احدهم عن شتم مجلة لانها لم تنشر مقاله مثلا ، او يشهر بفلان من الناس لانه خالفه برأى ٠

كل هذا الاستخفاف يدل على تجوف ضمير الاديب وعدم ايمانه بغير مصلحته الموقتة ٠ فى حين ان باب الادب ضيق وان الادب يعمل فى سبيل تنقية الضمير وزيادة حساسيته والاديب يبحث فى اعماق القلب عن القيم الثابتة فى ضمير الانسان ، من خلال حياته الزائلة العابرة وما المؤسسات الثقافية الا معابد للروح ، علينا ان نصونها من كل عبث لئلا يفقد الانسان العادى ثقته بالقيم التى تنشرها هذه المؤسسات ، اما اذا اوهمنا القارىء ان الادباء مزيفون وان الناشرين لصوص ، فنكون قد اجبرناه على قطع صلته بالثقافة ، ومن ثم بالتطور والحضارة ٠ ومن المؤسف ان هذه هى السبيل التى تسير عليها الامور الثقافية عندنا : انتاج غث يستخف بذوق القارىء وفهمه ، واستهتار من اكثر الشبان والشيوخ بكل الواجبات الادبية التى تمليها الثقافة والوعى ٠ واخيرا لا مبالاة شاملة بكل ما يتجاوز حدود اللحظة العابرة ٠٠ وهذه كلها عناصر تسميم تؤدى الى شلل القوى العقلية والروحية لجيل باكمله ٠٠ اننى فى هذه الكلمة لم اسم احدا باسمه لان هدفى ان أسجل هذا التدهور كظاهرة عامة اشترك فى وضعها اشخاص غير واعين لما يفعلون ٠٠٠

ما هو طريق الخلاص ؟ ان الهاوية تنتظر ، ويجب ان يوجد اشخاص يستمدون من ايمانهم وثقافتهم وقيمهم صلابة وصبرا لا نهاية لهما ٠